الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة وهران

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

تخصص: المعجمية وصناعة المعجم

دور الاستشراق في صناعة المعجم العربي

معجم دوزي – أنموذجا –

من إعداد:

- عبد الحميد فضة

تحت إشراف:

أ.د. عمار مصطفاوي

لجنة المناقشة: 2014/11/27

– أ.د. عبد الحليم بن عيسى	رئيساً	جامعة وهران
– أ.د. عمار مصطفاوي	مشرفاً ومقرراً	جامعة وهران
– د. رشيد عبد الخالق	عضواً مناقشاً	جامعة وهران
– ا.د. نور الدين زرادي	عضوا مناقشاً	جامعة وهران

السنة الجامعية:

2015/2014م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة وهران

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

تخصص: المعجمية وصناعة المعجم

دور الاستشراق في صناعة المعجم العربي
معجم دوزي – أنموذجا –

من إعداد:

– عبد الحميد فضة

تحت إشراف:

أ.د. عمار مصطفاوي

لجنة المناقشة:

– أ.د. عبد الحليم بن عيسى	رئيساً	جامعة وهران
– أ.د. عمار مصطفاوي	مشرفاً ومقرراً	جامعة وهران
– د. رشيد عبد الخالق	عضواً مناقشاً	جامعة وهران
– ا.د. نور الدين زرادي	عضوا مناقشاً	جامعة وهران

السنة الجامعية:

2015/2014م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى:

<< يرفع الله الذين أمنوا والذين أوتوا العلم درجات >>

المجادلة: الآية 11

قال الله تعالى:

<< قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون >>

الزمر: الآية 09

شكر وعرفان

بعد بسم الله الرحمان الرحيم...

الحمد لله الذي خلقنا ورزقنا من كل خير وأورثنا العلم سلاحا وصلي الله وسلم على سيدنا محمد حبيبنا وشفيعنا السيد المصطفى والنبي المجتبى، سيد الخلق والمرسلين وخاتم الأنبياء، وعلى آله وعترته الطيبين وعلى أصحابه وأمته أجمعين.

أما بعد: يقول عز وجل في محكم تنزيله.

" واشكروا الله إن كنتم إياه تعبدون "

فما لي إلا أن أتوجه إليك ربي يا موفق كل ساع ويا ميسر كل عسير بالشكر الجزيل والحمد الكثير أن وفقتني لهذا، وما توفيقي إلى بك.

أتقدم بخالص الشكر والعرفان إلى المؤطر الأستاذ الدكتور" **مصطفاوي عمار**" الذي لم يبخل علي بنصائحه وإرشاداته القيمة، التي ساهمت في انجاز هذا المشروع، كما أشكره على سعة صبره معي طوال فترة العمل.

أيضا أشكر كل الأساتذة الذين لقنونا معارفا ساهمت في انجاز هذا المشروع (تخصص المعجمية وصناعة المعاجم)، وأتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من قدم يد المساعدة من قريب أو بعيد.

وأسأل المولى جلت قدراته أن ينفعنا جميعا فهو وحده المستعان وله الحمد والمنة ومنه الجزاء والثواب واليه المرجع والمآب.

إهداء

اهدي ثمرة هذا الجهد إلى الوالدين الكريمين وأسأل الله أن يحفظهما كما ربياني صغيرا.

إلى زوجتي الكريمة، إلى الكتاكيت: الزهراء وعبد الباسط حفظهم الله.

إلى تلك الفئة المتعطشة لنهل العلم، متمنيا أن يكون هذا العمل مرجعا لها.

ملخص:

يتناول هذا البحث دراسة حول أحد أهم قضايا التراث العربي الإسلامي، وهي الصناعة المعجمية التي تعد جانب من جوانب تراثنا، إلا أن ما يميز هذا العمل هو أن الحديث فيه لم يكن عن الصناعية المعجمية عند العرب، بل إن البحث كان منصبا عن تلك الأعمال والمجهودات التي قام بها المستشرقون في هذا المجال، وحتى يأخذ هذا العمل طابعا خاصا رصَّعه صاحبه بنموذجا من تلك الأعمال التي قام بها هؤلاء المستشرقين فوقع الاختيار على معجم "تكملة المعاجم العربية " لصاحبه المستشرق الهولندي رينهارت دوزي، فجاء معنونا بـ" دور الاستشراق في صناعة المعجم العربي – معجم دوزي أنموذجا–".

لكن قبل الخوض في الحديث عن هذا الموضوع كان لزاما على صاحب العمل أن يتحدث في عجالة عن جوانب من الاستشراق، ويظهر ذلك في المدخل، وليس هذا فحسب، بل إنَّ الصناعة المعجمية عند المستشرقين لم تكن الوحيدة التي اهتموا بها فقد كان اهتمامهم أيضا بجوانب أخرى من تراثنا كان لهم الدور الكبير في احياءها والمحافظة عليها، وهي: المخطوط (جمعه ونسخه ثم تحقيقه ونشره)، الترتيب والفهرسة، التأليف، اللغة، الترجمة، النقد، وأخيرا المناهج المعتمدة في أعمالهم، هذا ما حتَّم على صاحب العمل الحديث عنها مُخصصا لها فصلا كاملا، وفي نهاية هذا البحث قام الباحث بدراسة نظرية وتطبيقية لمعجم دوزي.

Resume :

This research deals with a study on a major Arab and Islamic heritage issues, a lexical industry which is aspect of our heritage from, but what distinguishes this work is that the talk it was not for lexical industrial Arabs, but the search was focused on those actions and efforts that by Orientalists in this area, and even takes this work a special character dimple owner model of those actions carried out by these Orientalists, and he signed the check on the lexicon " sequel Arabic dictionaries " to its owner Dutch orientalist Reinhart Dozy, came entitled " role of Orientalism in Arab industry lexicon lexicon Dozy model-".

But before going to talk about this subject was incumbent on the employer to talk briefly about aspects of Orientalism, and is reflected in the entrance, and not only this, but the lexical industry when Orientalists were not the only ones that interested them was also interested in other aspects of heritage had a big role in the revived and maintained, namely: the manuscript (collected and copied and then achieved and published), ranking and indexing, authoring, language, translation, exchange, and finally approved curricula in their work, this is what necessitated the owner to talk about the work dedicated her entire chapter At the end of this research, the researcher studying the theory and application of the lexicon Dozy.

مقدمة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين خاتم الأنبياء والرسل أجمعين، محمد الأمين. ونحمد الله حمدا كثيرا طيبا مباركا على عونه ورعايته ونسأله التوفيق والسداد، رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي، آمين.

أما بعد فإن تراث هو أنفس وأعظم ما تملكه الأمم، فهو يمثل رصيد وزبدة ما تركه السابقون، وانطلاقة الحاضرين للنهوض بشعوبها قُدماً إلى الأمام، كما يُعد الوجه الحقيقي الذي كانت عليه الأمة، فهو يُعرف بعاداتها، وتقاليدها، وعلومها، التي برعت فيها، وبها شُيدت حضارات وحضارات، لتحجز لها مكانا بين الأمم، كما يُعرفنا التراث من جهة أخرى بسقطاتها، ونكساتها، ونكباتها، وأحزانها، ومن هنا فإننا لا نجد قولا في حق التراث سوى أنه كان ولا يزال خزان كل أمة، لذا كان من اللازم الحفاظ عليه ونفض الغبار عليه.

أما عن تراثنا الإسلامي فلا يقل أهمية عن باقي تراث الأمم الأخرى، ومن يشك في ذلك لحظة عليه أن يتقصى حقيقة الحضارات التي جاءت بعد الإسلام، ليكتشف أنها بُنيت على علوم وثقافات برع فيها المسلمون ووصلت إلى غيرهم بطريقة أو بأخرى، ونقصد بالغير أولئك الغربيين الذين يتباهون بما وصلوا إليه ناكرين أن ما هم عليه اليوم من رخاء وازدهار لم يكن ليحدث لولا دراستهم لتراثنا والأخذ منه والذين بَنَوْا وشيدوا حضاراتهم على أنقاض حضارتنا الإسلامية وتحديدا تلك الفئة من المستشرقين، منهم التي عكفت على الاهتمام بتراثنا والمحافظة عليه، والعناية به أيُّما اعتناء لغرض أو لآخر بعد أن دخلوه من بابه الواسع اللغة، وهي أغلى ما نملكه فبها كُتب وحُفظ وقُرئ تُراثنا، وعليه فمن غير المعقول أن نخوض في الحديث عن التراث قبل الحديث عنها، لذا كان اهتمام أسلافنا بها منذ زمن بعيد، فأحاطوها بعناية كبيرة حتى صارت تُعد من بين اللغات السامية الأخرى لها مكانتها وعُشاقها من غير أصحابها، وبعد ظهور الإسلام وتوافد الشعوب لاعتناقه من عجم وفرس زاد الاهتمام بها أكثر خوفا عليها من التحريف والتزييف، لأنها أضحت لغة القرآن الكريم والحديث الشريف وكل ما يَمسهما سَيمسهما أيضا، فابتدعوا لها وسائل من رسائل، وكتب ومعاجم علَّها تُساهم

في الحفاظ عليها من الدخيل، ومن بين هذه الوسائل المعاجم التي كانت ولا تزال بِحق الطريقة الناجعة لذلك، فجمعوا في ثناياها مفردات اللغة، وأردفوها بشروح لها حتى يتبين لمن لا يعرف اللغة التعرف عليها، وبلوغ معانيها.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل رتبوا هذه الألفاظ ترتيبا خاصا ليَسهل على الباحث بلوغ الكلمة ومعناها، ومن هنا نستطيع أن نستقي مفهوم المعجم فالمعجم هو كتاب يحوي مفردات مقرونة بشروح لها، مرتبة وفق ترتيب خاص ألفبائي أو صوتي هذه المفردات التي تُعد المُكون الأساسي للغة والمتواطئ عليها بين أفراد المجتمع الواحد، للتعامل بها فيما بينهم، لذا راح يتفنن الأولون في صناعتها وينوعون فيها فمن معاجم المصطلحات الأدبية إلى معاجم الألفاظ الدينية إلى معاجم المصطلحات العلمية، وهكذا أضحى المعجم حافظة اللغة من التحريف والزيف، وخزَّان يعود إليه الباحث والمُطلع أثناء الحاجة، هذا هو الدور الذي جعل له مكانة خاصة بين الأمة التي تسعى للحفاظ على لغتها، ولرُبما قد يعكس هذا الاهتمام بالمعجم مدى اهتمام ووعي الأمة بقيمة لغتها.

ومن هنا يتضح أن ظهور المعاجم اقترن بظهور اللغة، فبها وجُدت كما ذكرنا من قبل، هذه اللغة التي سحرت بجمالها شعوبا أخرى غير أصحابها خاصة في العصر الحديث، فقد ظهر من كان مولعا بهذا الجمال، وراح يدرسها ويبحث في أعماقها و يؤلف فيها كتبا ومعاجما لم يكن ليؤلفها حتى أصحابها أنفسهم، ومن بين هؤلاء المولعين بها تلك الفئة من المستشرقين الذين عنوا بدراسة التراث عامة والمعجم خاصة، أين كان لهم دور في إحياءه والمحافظة عليه، وهو موضوع بحثنا هذا الذي سنحاول التطرق فيه إلى دور المستشرقين في صناعة المعجم العربي.

قبل الحديث عن هذا الدور، لا بأس أن نتحدث في عُجالة عن موضوع الاستشراق على أن يتم التفصيل فيه لاحقا، فالحديث عن الاستشراق والبحث فيه عمل متميز يحتاج إلى الجرأة الكافية، كون العمل عليه يُلزم صاحبه الحياد، فلا ينحاز إلى أي طرف كان، ولن يستطيع أن يقف هذا الموقف إلا إذا تجرد من بعض مقوماته كالنزعة القومية، والنزعة الإقليمية مثلا، كل هذا من أجل أن يهتدي إلى بعض الحقائق التي تمخضت عن علاقة ضاربة بجذورها في أعماق التاريخ بيننا وبين الطرف الآخر

بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، هذه العلاقة التي بُنيت على رؤى مختلفة بين الطرفين، كلٌّ ونظرته الخاصة به اتجاه الطرف الآخر، لذا فإن الحذر والتريث هما المخيمان على هذه العلاقة، ومن جانبنا نحن فإن الشبهات والشكوك لازالت تحوم حول المستشرقين وأعمالهم في البلاد الإسلامية عامة والعربية خاصة، إلى حد مبالغة بعضنا في ذم الاستشراق وكل ما يمُت إليه بصلة وما يهمنا نحن هو تلك الأعمال التي قدمها المستشرقون، وتباينت حولها آراء مفكرينا ومثقفينا المسلمين، قديما وحديثا رأي يرى فيها أعمالا مقبولة، ورأي رافض لها تماما، لأنه يرى لا خير في عدوٍ، ورأي ثالث فضل المواجهة جاعلاً من البحث والتحري معينا له قبل الحُكم على هذه الأعمال، لكن رغم هذه الشبهات ورغم بعض الحقائق حول أهدافهم الدفينة والظاهرة التي عملوا من أجل الوصول إليها لتطبيق مخططاتهم سواءً كانت استعمارية أو دينية أو عقائدية، كان لهؤلاء دورا فاعلاً في تقدم البحوث العلمية، والأدبية، واللغوية، إذ راحوا يدرسون الأدب بفروعه ويبحثون فيه، ويهتمون بالترجمة وتطويرها لمساعدتهم على نقل العلوم العربية التي ازدهرت عند العرب، وعملوا على تنقيح علوم اللغة بفروعها ويدرسون ما جاء في المعاجم العربية القديمة، ويقفون عندها بالدراسة والتحليل حتى أضحوا يصنعون المعاجم وفق مناهجهم ونظرياتهم الحديثة، بعد أن أصاب الحركة اللغوية عندنا ركودا زاد من معاناة اللغة العربية.

إن أعمالهم تظهر في تلك المناهج الحديثة التي ابتكروها حديثا، والتي تأثر بها نُقادنا وباحثونا في مجال دراستهم، فعمدوا إلى تطبيقها بحذافيرها، ومن بين هؤلاء الدكتور طه حسين الذي كان في الطليعة، بل أكثر من ذلك، فقد كان يأخذ بآراء المستشرقين، ويتحمس في الدفاع عنها في مجال إصدار الأحكام حول الأدب العربي القديم، وهنا يظهر دور المستشرقين في تطوير مناهج الدارسات العربية.

هذا عن الجانب الأدبي، أما عن الجانب اللغوي فإن العمل فيه كان جبارا خاصة في الصناعة المعجمية، فقد كان للمستشرقون نشاطٌ واضح المعالم في وقت غرق أصحاب البيت في سُبات عميق، وأضحى هؤلاء المستشرقون فرسانا للغتنا نحن فصدرت لهم أعمالا اختلفت فيما بينها منهجا وغرضا، وبطبيعة الحال نحن نتكلم عن تلك الأعمال التي فيها ما يفيدنا بعد أن نُجردها مما يضرنا كتلك الأعمال التي

تستهدفنا في ديننا، وهويتنا، وفي لغتنا العربية، وهذا الجانب لا يهمنا في هذا العمل وهو ما يوافق الرأي الثالث.

ويأتي هذا البحث كاشفا عن الدور الذي يخدم لغتنا بغض النظر عن تلك الأغراض التي ذكرناها سالفا، وحتى لا نكون مجحفين، بل منصفين في حق هؤلاء المستشرقين الذين ساهموا في إرساء معالم صناعة معجمية حديثة، ارتأينا أن نسلط الضوء على هذا الجانب من أعمالهم قصد إبراز الدور الذي لعبه هؤلاء في هذا المجال، وانطلاقا من هذا وجب طرح الإشكالية التالية:

– هل كان للمستشرقين دورا في صناعة المعجم العربي الحديث ؟، أم أن أعمالهم كانت مجرد نافذة لتمرير مخططاتهم ؟، وبالتالي تصدق عليهم تلك الشبهات التي تحوم حولهم.

للإجابة على هذه الإشكالية ارتأينا أن نوظف نموذجا من تلك النماذج التي قدمها أصحابها علَّها تكون حجة لهم لا عليهم، و هو معجم " تكملة المعاجم العربية" لصاحبه المستشرق الهولندي " رينهارت دوزي"، وهذا يفتح الباب لسؤال جوهري سنحاول الإجابة عليه باختصار مباشرة ليتم التفصيل فيه أثناء البحث.

– لماذا أخذنا معجم دوزي " تكملة المعاجم العربية " بالضبط ؟، دون غيره من المعاجم التي صنعوها.

لقد وقع اختيارنا على معجم " تكملة المعاجم العربية " لأنه يمثل صورة ونموذجا حقيقيا للمعجم اللغوي التاريخي، مُمهدا بذلك الطريق لصناعة المعجم الحديث الذي دعا إليه المستشرق الألماني أوغست فيشر.

و تجدر الإشارة إلى أن عملنا هذا كان في بدايته للبحث فقط عن (دور الاستشراق في صناعة المعجم العربي)، لكن أثناء العمل تراءت أمامنا تساؤلات أخرى استوجب علينا الإجابة عليها قبل الإشكالية الأساسية التي بَنينا عليها عملنا هذا وهي:

– هل كان للمستشرقين دور في إحياء التراث من جميع جوانبه، من جمع وتحقيق، وفهرسة المخطوطات إلى العناية باللغة، والأدب شعرا ونثرا والتأليف فيه، أم أن عملهم اقتصر على المعاجم فقط ؟.

كل هذه التساؤلات سيتم مناقشتها، والإجابة عليها في هذا العمل بحول الله تعالى.

أما عن الأسباب الداعية لاختيار الموضوع فهي كالآتي:

– موضوع الاستشراق موضوع مغرٍ وشيق لطالما اختلفت ولا تزال تختلف حوله الآراء، لأنه يغوص ويبحث في أعماق علاقة وطيدة امتزجت بين حضارتين وأمتين لذا فهو يحتاج إلى البحث الجاد، الكثيف والعميق، حتى يكشف عن خبايا هذه العلاقة المبنية مند زمن طويل.

– قلة البحوث في هذا الموضوع باستثناء بعض البحوث والمقالات المنشورة على صفحات الانترنت، وبغض النظر عن تلك الأعمال التي اقتصرت في مجملها عن العلاقة بين المستشرقين والمسلمين، إضافة إلى تلك الدراسات الكثيرة الخاصة بالترجمة، والأدب، وغيرها.

– الدور الذي لعبه المستشرقون في الدراسات اللغوية والمعجمية على وجه الخصوص يُلزم علينا عدم إغفال هذا الجهد حتى تتم الاستفادة منه في أعمالنا.

– لقد كان لتلك النظريات والمناهج الحديثة التي طبقها المستشرقون في دراساتهم الأدبية، والعلمية الأثر الواضح على أعمال نقادنا وباحثينا العرب، لذا وجب معرفة تلك النظريات التي اعتمدها هؤلاء على أعمالهم المعجمية للاستفادة منها.

– إبراز ذلك الدور الإيجابي في أعمالهم الذي طالما حامت حوله الشكوك.

– لم نجد حسب اطلاعنا مثل هذا العمل الذي نحن بصدد القيام به، بل إنَّ جُل الأعمال اقتصرت على دراسة المعاجم العربية فقط، لذا حاولنا مخالفة هذه الطريقة بدراستنا لمعاجم غربية، مُتمنين أن يجد فيها المُطلع مُبتغاه.

خطة البحث:

احتوى عملنا هذا مدخل وفصلان، ثم خاتمة.

الفصل الأول بعنوان: دور المستشرقين في صناعة المعجم العربي، والذي خصصنا في جانب منه الحديث عن ذلك الدور الذي قام به المستشرقين لخدمة التراث الإسلامي التراث وفي مختلف مجالاته (جمع المخطوط وتحقيقه، وفهرسته، ونشره

الترجمة، النقد، التأليف في الصناعة المعجمية)، ثم الحديث عن أهم المناهج التي اعتمدوها في دراستهم.

أما الفصل الثاني فكان الحديث فيه عن معجم (تكملة المعاجم العربية) من جانبين، فأما الجانب النظري فبدأناه بالحديث عن صاحب الكتاب (حياته، تعليمه مكانته العلمية، نظرته إلى المعجم العربي، المؤثرات عليه)، أما الجانب التطبيقي فقد تمحور حول الطريقة التي اعتمدها دوزي في صنع معجمه من جمع المادة ثم الشرح وأخيرا الترتب، والشواهد التي استعان بها في شرح المعنى.

كما لم نشأ أن نطوي هذا الفصل دون وضع موازنة بين عمل دوزي وأحد أعمدة الصناعة المعجمية الحديثة المستشرق الألماني فيشر في عمله الضخم "المعجم اللغوي التاريخي".

وفي ختام هذا الفصل ارتأينا أن نقدم حوصلة لهذا الجانب من الدراسة.

وقد ساد المنهج الوصفي في هذا العمل، لأن طبيعة العمل تقتضي ذلك، فجُل دراستنا قائمة على وصف ذلك الدور الذي قام به المستشرقون، وتلك النظريات التي تبنوها، والمناهج التي اعتمدوها في أعمالهم وصولا إلى وصف ذلك العمل الذي قام به دوزي، كما تخلله نقد لهذه الأعمال، هذا ونشير إلى أنَّنا افدنا من بعض المناهج الأخرى لضرورة سرد بعض الحقائق التاريخية، والتعرض لمسيرة أعلام المستشرقين والتي تُحتم علينا الاستعانة بالمنهج التاريخي.

ولا يفوتنا أن نذكر بعضا من الدراسات التي حُضيت بها الأعمال الاستشراقية والتي تنوعت بتنوع مواضيعها، فمنها دراسات انصبَّت حول مناهج المستشرقين في أعمالهم، ومنها ما راحت تتحدث عن دور المستشرقين في إحياء التراث العربي، ومنها ما تحدثت عن خطورة الاستشراق والمستشرقين وأهدافهم، المُهم أنها كانت عديدة لا يمكن حصرها، إلا أننا لا نكاد نجد إلا القليل من تلك الدراسات التي اهتمت بتلك الأعمال التي قام بها المستشرقون حول الدراسات اللغوية خاصة في مجال الصناعة المعجمية، ومن الأعمال التي كانت عوناً لنا:

– الترجمة التي قام بها الدكتور محمد سليم النعيمي لمعجم (تكملة المعاجم العربية) لرينهارت دوزي.

- (دراسات حول المعجم العربي) لإبراهيم بن مراد، والذي ضمنه في جانب من جوانبه دراسة نقدية لمعجم دوزي.
- بحث قام به حميد الحمد بعنوان (مناهج المستشرقين في الصناعة المعجمية) تناول فيه المعجم، لكنه لم يكن كافيا، لأن هذا العمل لم يكن سوى إعادة في غالبه لِما ذكره إبراهيم بن مراد في كتابه السابق عن المعجم.
- (في المعجمية المعاصرة، وقائع الندوة المئوية)، والذي تضمن مجموعة من البحوث التي خصَّ جانبا منها للحديث عن عمل دوزي.

في آخر البحث خلصنا إلى خاتمة تضمنت مجموعة من النقاط، كانت بمثابة أجوبة عن إشكالية البحث، وعن تلك التساؤلات التي ظهرت أثناء العمل.

وفي الختام لابد أن نشير إلى أنَّ إنجاز هذا العمل بالأمر الهين، فقد لاقينا أثناء القيام به صعوبات كانت بمثابة عراقيل حالت دون إثرائه كما كنا نتوقع، والتي تمثلت في قلة الدراسات التي تناولت العمل الذي قام به المستشرق رينهارت دوزي في معجمه (تكملة المعاجم العربية).

المدخــل

جـوانب من الاستشراق

I- مفهوم الاستشراق:

الاستشراق علم قائم بذاته، وما يعكس هذا الطرح هو ذلك الاِهتمام الكبير الذي أصبح يحظى به، فأضحى له مدارسه، وفلسفته، ومؤلفاته، وأتباعه، هذا ما يُحتِّم علينا الوقوف على أهم جوانبه، اِنطلاقًا من تحديد مفهومه وأطواره، دوافعه وأهم مدارسه.

1- لغة: الشرق: "الشمس... وإسفارها، وحيث تشرق الشمس... وشرقت الشمس شرقًا وشروقًا: طلعت، والتشريق: الجمال. وإشراق الوجه، والأخذ من ناحية الشرق"[1].

و يجب الإشارة إلى أن الكلمة المراد البحث عنها لم ترد في المعاجم القديمة لكن هذا لا يمنع من الوصول إلى معناها بعد إحكامها لقواعد الصرف، وعلم الاِشتقاق .

أما عن المعاجم العربية الحديثة، فاِن كلمة" الاِستشراق" لم تخرج عن المعنى الواحد في جُلّها، "ففي المنهل جاءت لفظتا: "شرق" و"مستشرق" مقابلة للفظة الفرنسية "Orient" و"Oriental" الشرقي والمشرقي"[2]، أما في المنجد في اللغة العربية المعاصرة، فلفظة شرق تعني: "نقطة أو جهة الأفق التي تطلع منها الشمس على مدار السنة، وأشرق صار مستشرقًا، واستشرق اهتم بالدراسات الشرقية مستشرق، والجمع مستشرقون: أديب غربي يهتم بدرس تراث الشرق وحضاراته ولغاته"[3].

1 القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز أبادي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي بيروت،ط1(1417هـ/1997م)، مادة "شرق".

2 المنهل: قاموس فرنسي–عربي، سهيل إدريس، دار الكتاب، ط 2004، ص: 850–851.

3 المنجد في اللغة العربية، دار المشرق، ط 2003، باب حرف الشين، ص: 765.

المعاجم الأجنبية:

- قاموس"Auzou":"شرقي: من المشرق، من الشرقي كهوية ثقافية أو سياسية استشراق: الاهتمام بكل ما يأتي من الشرق، مستشرق: شخص مهتم بالاستشراق"[1].
- قاموس"Le Petite La Rousse":"شرقي: ما يوجد في الشرق، في المشرق شخص ينتمي للحضارة الشرقية... لأحد البلدان الشرقية، استشراق: مجموع العلوم التي تتخذ موضوعا الحضارات الشرقية. تذوق الأشياء الشرقية مستشرق: الذي له علاقة بالاستشراق، المختص في الحضارات الشرقية"[2].

2- **اصطلاحًا:** لا يوجد تعريف ثابت متفق عليه للاستشراق، لذا فإن البحث لإيجاد مفهوم معين أصبح أمر صعب، "و من أجل ذلك فإن إعطاء تعريف للاستشراق هو ضربٌ من المُحال، وكل تعريف نُجهد أنفسنا لإعطائه لا يكون شاملاً جامعًا مانعًا"[3]. لكن هذا لا يمنع من إعطاء بعض المفاهيم.

الاستشراق" من تبحر في لغات الشرق وآدابه"[4]، والاستشراق هو اشتغال غير المسلمين بعلوم المسلمين بغض النظر عن وجهة المشتغل الجغرافية انتماءاته الدينية، الثقافية، والفكرية"[5]. أما عن المعنى الذي أورده الغربيون لهذه الكلمة فيقول رودي بارت: "الاستشراق هو علم العالم الشرقي"[6].

1" AUZOU" DICTIONNAIRE ENCYCLOPEDIQUE. 2005, P : 1181.

2 LE PETITE LA ROUSSE (GRAND FORMAT). LA ROUSSE 2005, P : 763.

3 نقد الخطاب الاستشراقي، ساسي سالم الحاج، دار المدار الإسلامي، يناير 2002، ط1، ج1، ص: 17.

4 فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي والمعاصر، د. أحمد سمايلوفيتش، دار الفكر العربي، القاهرة ص: 23.

5 الاستشراق والدراسات الإسلامية، د.علي بن إبراهيم النملة، مكتبة التوبة، الرياض السعودية، ط1 (1418ه/1997م)، ص: 124.

6 نقلا عن فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، د. أحمد سمايلوفيتش، ص: 23 .

II- دوافع الإستشراق:

1- الدافع الديني:

يتفق الباحثون المسلمون على أنَّ هدف الاستشراق في بدايته كان هدف ديني خالص، يقول مصطفى السباعي: "لا نحتاج إلى استنتاج وجهد لنتعرف إلى الدافع الأول للاستشراق عند الغربيين وهو الدافع الديني"[1]، كما أن انطلاقته الأولى كانت من داخل الكنيسة، "فقد انطلق من الأديرة، والكنائس، وقام به في البدء رهبان وقسس"[2]، والأمر ليس غريبًا، فرجال الدين كانوا يمثلون الطبقة المتعلمة من جهة ومن جهة أخرى ولائهم التام للمسيحية، هذا ما جعل العامة يلتفون حولهم ويحيطونهم بعناية خاصة، فكان الجميع يأتمر بأمرهم، ويتبرك ببركتهم، لكن لم يدُم الحال طويلاً، فبعد أن ظهر الإسلام، واكتسح مواطنهم التي كانت تسودها النصرانية، واستحوذ على قلوب مناصريهم، ما رأى فيه هؤلاء الرهبان تهديدًا خطيرًا لمصالحهم، فلم يجدوا بدًا سوى الوقوف أمامه، ومحاربته بكل ما توفر لديهم من وسائل.

لقد عمل هؤلاء الرهبان على تشويه صورة الإسلام، وكل ما يمتُ إليه بصلة فنشروا الأقاويل الكاذبة، والأفكار الخاطئة عنه، "و هؤلاء كان يهمهم أن يطعنوا في الإسلام، ويشوهوا محاسنه، ويحرِّفوا حقائقه"[3]، هذا عن الإسلام، أما عن المسلمين فلم يسلموا من حقدهم، وصفوهم بأولئك المتعطشين للدماء، والهمجيين "فهم قوم همج لصوص، وسفاكو دماء"[4].

والغاية من الهدف الديني هي الغوص في أعماق الدين الإسلامي، والبحث فيه حتى يتسنى لهم محاربته، وإبعاد أهل الدار (النصارى) عنه، ونقل نظرياتهم خارج الديار إلى البلاد الإسلامية، ولن يتمكنوا من ذلك إلا بمعرفة جوانب الحياة للأمة الإسلامية، ثقافية كانت أو فكرية، وعقائدية، واقتصادية، وسياسية

1 الاستشراق والمستشرقون، مالهم وما عليهم، مصطفى السباعي، دار الوراق للنشر والتوزيع، ص: 20.
2 مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين، د.على إبراهيم النملة، مكتبة الملك فهد، الرياض (1414ه/1993م)، ص: 08.
3 الاستشراق والمستشرقون، مالهم وما عليهم، مصطفى السباعي، ص: 20.
4 المصدر نفسه، ص: 20.

واجتماعية، وعلمية، وغيرها، كما أن هناك دلائل تشير إلى أن الدافع الأول للاستشراق هو الوقوف على معرفة الإسلام، ومن ثمَّ بَث الشبهات عليه، يقول يوهان فوك: "و لم يكن هدفهم علميًا محضًا، بل إنَّهم أرادوا الرد على الإسلام والتبشير بين المسلمين، ودعوتهم إلى المسيحية عن طريق تراجم عربية للإنجيل"[1] وهكذا أصبح العامل الديني دافعًا قويًا لانتشار الاستشراق في العالم"[2].

2- الدافع العلمي:

في وقت شهدت فيه الأمة الإسلامية أزهى عصورها من تقدم في جميع المجالات العلمية، والأدبية، والفكرية، "ففيه شُيِّدت حضارات، وثقافات، ونشأت لغات، وفلسفات، وولدت علوم، وفنون، ونزلت شرائع، وأديان"[3] كان الركود والتخلف يخيمان على الجهة المقابلة من مواطن الغربيين، وهي حالة لم تكن تبعث الارتياح والرِضى في أوساط شعوبها، خاصة تلك الفئة المتفتحة التي كانت تسعى للقيام بحركة ما، والأخذ بأسباب الحضارة والرقي للنهوض بشعوبها من هذا السبات والخروج بِها إلى بر الحضارة والتطور.

إنّ الحالة الزّاهية التي كانت عليها الحضارة الإسلامية جعلت منها قدوة ونموذجًا سارت على نهجه المواطن الغربية، وما زادها تطورا ذلك المزج الذي قام به المسلمون بين ما هو قديم وجديد، فلا يهُّمهم قِدم تلك الثقافة التي ينهلون منها بل يعتمدونها في أعمالهم، حتى وإن كانت تأتي من عِند غيرهم، فمزجوا بين القديم والحديث دون الأخذ بما يشوِّه ثقافتهم، "و لا يضيرها أن تُفيد من علوم اليونان والسريان، والهنود، وخيرات الأوائل والأواخر"[4]، فأصبحت، جسرًا يربط بين جهتين

---

1 نقلا عن المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، د. إسماعيل أحمد عمايرة، دار حنين، عمان الأردن، ط 2 (1416ه/1996م)، ص: 26.

2 معجم أسماء المستشرقين، يحيى مراد، ص: 36

3 المصدر نفسه، ص: 38.

4 فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، د.أحمد سمايلوفيتش، ص: 51.

بين الماضي، والمستقبل، هذا ما "أثار اهتمام علماء الغرب فاهتموا بدراستها واكتشاف أسرارها"[1].

لم يجد الغرب طريقًا للأخذ من كنوز هذه الحضارة سوى السير إلى مهدها آنذاك كالشّام، وبغداد، والأندلس، خاصّة العربية منها، لكن وجد هؤلاء مشكلة وجب حلّها، وتخطيها لنيل مطالبهم، وهي أن هذه العلوم المُراد أخذها هي علوم دُرِّست وعُلِّمت، وكُتبت باللغة العربية في الغالب، وهم أغراب عنَّا لا يتقنون لغتنا، وانطلاقًا من أن "اللغة مرآة الشعب ومستودع تراثه، وديوان أدبه، وسِجل مطامحه، وأحلامه ومفتاح أذكاره، وعواطفه، وهي فوق هذا وذاك رمز كيانه الروحي، وعنوان وحدته وتقدمه، وخزانة عاداته وتقاليده"[2]، وبعد هذا القول الشامل الوافي لا يسعنا إضافة شيء سوى أنَّها مقياس لتحديد مدى تقدم أو تخلف أي أمةٍ كانت، فبِتطورها تتطور الأمة، وبتخلفها تتخلف.

بعد وعي المستشرقين الصحيح لقيمة اللغة جَهدوا في تعلُّمها وتعليمها، وما كراسي اللغة التي أنشئوها في جامعاتهم، ومعاهدهم لدليل قاطع على العناية البالغة التي أولاها المستشرقون لها، وكانت أول مدرسة أُنشِأت للدراسات الشرقية هي مدرسة طُليطِلة التي أنشأها مجلس المبشرين عام (1250م)، وكانت تُدَرس بها اللغات العبرية، والفارسية...، وكان في الطليعة تلك الفئة التي آثرت على نفسها القيام بهذه المهمة، كان من بينها مشترقون تبنوا فكرة الاستشراق لأجل البحث والإِطلاع على حضارة المسلمين، والبحث في خباياها بعد أن فَهِموا الإسلام أكثر من غيرهم، وتوالت البعثات الواحدة تَلو الأخرى تأخذ العلوم وتنشره في أوطانها و"أصبح أفرادها بعودتهم من الأندلس شعلة علمية تضيء غياهب أوطانها...

1 المصدر نفسه، ص: 51.
2 المعجمات العربية، دراسة منهجية، محمد على عبد الكريم الرديني، دار الهدى، عين مليلة– الجزائر، ط1 ص: 05.

وأخذت تنتشر العلوم، والفلسفات، والآداب، والحقائق فدفعت بِشعوبها خطوات جبارة لا يمكن التغاضي عنها عند النظر في تطور العِلم في العالم"[1].

3- الدافع الاقتصادي:

الاقتصاد معيار أساسي لِمدى تقدم أو تخلف أي مجتمع كان، لأنه يصيب الطابع المعيشي للفرد، "فهو يدفع الإنسان لالتماس أسباب العيش عبر الأراضي البحار في جميع بقاع العالم، وفي سبيل وصول الإنسان إلى هذا الهدف يُشهر سلاحه، ويستعين بقوته، وبطشه ما وجد لذلك سبيلاً، يأخذ ويحتل، وينهب ويَسلب، ويسيطر، ويستعبد،..."[2]. ولأجل ذلك يسعى الفرد دومًا لاقتصاده والمحافظة عليه بكل ما أوتي من قوة، حتى وإن تطلب ذلك القتل.

لقد شهد هذا الجانب كباقي الجوانب التي ساهمت في رقي الحضارة الإسلامية تفوقًا كبيرًا في حياة المسلمين، وبِه تعاظمت الخيرات في جميع مواطنهم، في حين كانت الضِفة المقابلة تعيش أوضاعًا مزرية لا تدعوا إلى السرور، إذ سادت الطبقية في أوساط مجتمعاتها، وانتشر الفقر بين الناس خاصة الذين يعيشون في مناطق ذات المُناخ القاسي، وتفشَّت الأمراض، والأوبئة لقلة الغذاء، وانعدام الأطباء وكل هذا بسبب الجهل الذي كان متفشيًا بينهم، فلو حاولنا أن نقارن بين الجهتين لوجدنا فارقًا كبيرًا، بل قد يستحيل وجود تشابهٍ بينهما.

إن مظاهر الازدهار الذي كانت تنعم به الأمة الإسلامية جعلت منها مطمعًا دَأب الغربيون للتفكير في إيجاد وسيلة لأخذه، وتقديمه لأوطانهم، خاصة أولئك الذين شَدُّوا الرحال إلى المواطن الإسلامية، واستقروا بِها، وعاشوا في أجواءها فراحوا يُجيِشُون الجيوش منتظرين الفرصة المناسبة لدحر القوة الإسلامية الانقضاض على

1 فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، د. أحمد سمايلوفيتش، ص: 52.
2 معجم أسماء المستشرقين، يحيى مراد، ص: 32.

خيراتها بعد بسط السيطرة عليها، و"بسبب هذه الأطماع البشعة تتابع الهجمات المسعورة من السيطرة على جميع مرافق الحياة في العالم العربي ثم على العالم بأسره، ولذا كانت النواحي الاقتصادية أشدّ الدوافع إلحاحا في اندفاع الغرب لتعلم لغات الشرق، ودراسة حضارته"[1].

4- الدافع الإِستعماري:

إن الصراع بين العرب والمسلمين من جهة، والغرب من جهة أخرى ضاربٌ بجذوره منذ ظهور الإسلام، وهي هذا الصراع الذي يمثل "النقطة الخطرة في العلاقات بين الشرق والغرب"[2]، فهي ثنائية تشكل من طرفين: مستعمر غازٍ يودُ بسط سيطرته لنشر أفكاره، وعاداته، وتقاليده، ونهبِ خيرات أرض صاحبها الذي يتحلى بالمقاومة والشجاعة للدفاع عن حريته، ومِن ثَمَّ الحِفاظ على هويته ودينه، وعاداته، وتقاليده، وحريته، وهو مُستعد لأن يَدفع أغلى ما عنده في سبيل ذلك.

لم تُثْني الهزائم المتتالية التي مُني بِها الصليبيون من عزيمتهم في العودة مرة أخرى إلى معاودة استعمار المواطن الإسلامية، خاصة بعد أن أطاح المسلمون بأقوى إمبراطورية في تلك الحقبة كالفرس، والرمان، والبيزنطيون، وفرض سيطرتهم على مواقع هامة اقتصاديًا، وتجاريًا، برًا كانت أم بحرًا. هذا ما ملأ قلوبهم بالحقد والحسد، فتحينوا الفرصة المواتية لاستعادتها واستعمارها، بعد أن تحَلوا بالصبر الطويل، فراحوا يَغُوصون في أعماق شؤون الدولة الإسلامية حتى يَتبين لهم نقاط القوة، فيعملون على إضعافها، ونقاط الضُعف، فيستغلونها.

1معجم أسماء المستشرقين، يحيى مراد، ص: 32.
2 فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، د. أحمد سمايلوفيتش، ص: 50.

لقد كان للاستشراق دورا فاعلا في الحملات التوسعية للغرب في بلاد المسلمين، فالمستشرقون الذين عاشوا في المواطن الإسلامية، وأخذوا من علومها أصبحوا على دراية بِها لغةً، واقتصادًا، وسياسةً حتى في الميدان العسكري فقاموا بنقل كل صغيرة وكبيرة، و" نقلوا معلوماتهم ومشاهداتهم لسلطات بُلدانهم حتى يَتم التحضير السليم والشامل لخوض معركة فاصلة"[1] ضد الإسلام المسلمين هكذا" سار المستشرقون في أركان الاستعمار الغربي سواء قديمًا أو حديثًا... فقدَّموا معلومات مُوسَّعة، ومفصَّلة عن الدول التي رغبت الدول الغربية في استعمارها والاستيلاء على خيراتها، وثرواتها"[2]، ومن هنا يتضح جليًا أن الاحتلال لم يكن ليحدث في البلاد الإسلامية إلا"بعد دراسة لأوضاع المسلمين"[3] والتي قام بها المستشرقون، وعليه فإن" للاستشراق دور لا يرتاب فيه في تمهيد الأرض الإسلامية للاستعمار الغربي"[4].

III- أطوار الاستشراق:

الهدف من هذه الدراسة هو التطرق لأهم المراحل، والأطوار التي مرَّ بِها الاستشراق عبر مختلف العصور منذ نشأته، وكذا معرفة ما يُميز كل مرحلة من تنوع في الآراء الخاصة بالموضوع، " فحركة الاستشراق قديمة جدًا، إذ أنَّ قيامها يعود إلى(1245م)، حين تقرَّر تدريس اللغات الشرقية من طرف مجمع الكنيسة بفينا"[5] لكنه ليس تاريخ مضبوط، ولهذا كان الاختلاف بين الباحثين حول بداية الاستشراق، "فلا

1 الترجمة الأدبية من العربية عند المستشرقين (مذكرة ماجستير)، أندلوسي محمد، إشراف د. بن عمر محمد جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، (2009م-2010م)، ص: 39.

2أهداف الاستشراق،د. مازن مطبقاني، موقع مركز المدينة المنورة لدراسة الاستشراق وبحوثه www.madinacentre.com

3 مصادر المعلومات عند الاستشراق والمستشرقين، د. علي بن إبراهيم النملة، ص: 07.

4 الاستشراق في الأدبيات العربية،د. علي بن إبراهيم النملة، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ط1 (1414ه/1993م)، ص: 05.

5 نبذة عن مسيرة الاستشراق، إبراهيم مناد، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم-الجزائر، العدد 03، 2005 ص: 59.

يُعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الاستشراقية، ولا في أي وقت كان ذلك"[1].

اتَّفقت أغلب البحوث والدراسات التي اطَّلعنا عليها في بحثنا على أن الاستشراق مرَّ بثلاث أطوار أساسية، تباينت فيما بينها، ومنذ نشأتها الأولى حتى القرن العشرين: "التكوين، التقدم، الانطلاق"[2].

1- الطور الأول:

و يُعد هذا الطور المرحلة الأولى لظهور الإِستشراق، وأُطلق عليه عدة أسماء: "مرحلة الولادة، مرحلة الاستشراق الديني أو مرحلة التكوين"[3].

كانت عيون الغرب على بلاد الجزيرة العربية لأسباب عديدة، ومنها ما" ورد في كتب هرودوت مؤرخ القرن الخامس قبل الميلاد، وتيوفراست تلميذ أرسطو الذي تحدث حديثًا شيقًا عن طبوع بلاد العرب الشهيرة في كتابة " تاريخ النبات " والجغرافي اليوناني استرابون في مُستهل القرن الأول للميلاد، والمؤرخ الروماني بليثي في القرن الثامن للميلاد الذي وضع ألواح بأسماء القبائل، والمدن، والقرى الموجودة في وسط الجزيرة العربية"[4]، هذا ما يُوحي بظهور الاستشراق بطريقة فِعلية، بل كان ينتظر الظروف الملائمة ليُعلن عن بدايته.

لقد كان لظهور الإسلام وانتشاره في أصقاع الأرض حتى وصل تخوم المواطن الغربية الدافع القوي لميلاده كعلم مُتميز في القرن الثامن الميلادي، كان للكنيسة الدور الفاعل في صقله وتنميته، فراحت تكفله، وترعاه حتى يكتمل، وينضج ثم تدفع به لتنفيذ أغراضها.

1 الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، مصطفى السباعي، ص: 17.
2 فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، د. أحمد سمايلوفيتش، ص: 71.
3 الترجمة الأدبية من العربية عند المستشرقين، أندلوسي محمد، ص: 49.
4 غربيون في بلادنا، محمود السمرة، المكتبة التجارية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1969م، ص: 09.

إن التعصب ضد الإسلام ورسوله أعمى عقول الغرب، ولم يَدع لهم فرصة للتفرقة بين الحق والباطل، لعدم قبولهم فكرة هذا الدين، فمنذ أن وصل الإسلام المواطن الغربية لم يجد في أهلها سوى ديانة واحدة كانت هي الغالبة، هي الديانة المسيحية ومن هنا بدأت العلاقة بين الديانتين، وبدأ الصراع بينهما يزداد، ويقوى كل حين وليس هذا لأن الإسلام كعقيدة ملك النفوس، واستحوذ على القلوب، لينير درب البشرية، التي كانت تعيش في ضلالة عمياء طيلة قرون من الزمن، وليس لأن أصحاب الرَّاية راحوا يتوسعون بدينهم، ويفتحون البلاد الواحدة تلو الأخرى على حساب الديانة المسيحية خاصة، بل لأن العرب والمسلمين أسَّسوا حضارة عالمية أذهلت العقول البشرية، هذه الحضارة التي انطلقت من بين جبال وصحارٍ كانوا يرون فيها الحياة البِدائية للإنسان، وليس هذا فحسب، بل إن سرعة انتشارها وقدرتها على التوسع حَبس العقول، لذا كان لابد من وقف هذا الزحف، فكانت البداية الأولى من رجال الدين المسحيين من أساقفة ورهبان وغيرهم، وللوصول إلى هذا المُبتغى وجب عليهم معرفة قوة هذا الدين حتى يتمكنوا منه.

يُعد ظهور الإسلام في الأندلس بداية لصراع عَلني بين المسلمين والمسحيين "فمنذ أن اتصل العرب بالغرب عن طريق الأندلس بدأ أصحاب الفكر فيه يُعادون المسلمين ويهاجمونهم، وظلت هذه الطريقة متداولة رائجة حتى عصرنا هذا"[1]، ويبدو أن الاحتكاك بين المسلمين والغرب في بلاد الأندلس على اثر ظهور الدولة الأموية كانت بمثابة جِسر عبرت منه تلك البعثات الغربية إلى المشرق العربي التي كُنَّا قد تكلمنا عنها سابقًا، هذه البعثات التي عكفت على دراسة الإسلام لمعرفة كيفية مهاجمته، ومن أشهر هؤلاء "جيربير دي أورليا" "Gerbert De Aurillac"، ودي أورلياك، فراحوا يدرسون القرآن، ويتعلمون الإسلام حتى ينشروا عنه أفكارًا مغلوطة وعن المسلمين لدى

1 فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي، د. أحمد سمايلوفيتش، ص: 71.

مسيحي الغرب، "و ظلت العقلية الأوروبية تفكر بهذه الطريقة إلى ما قبل الحروب الصليبية، إذ كانت على معرفة ناقصة بالشرق، وإن لم يكن لها عذر في ذلك"[1]، ورغم أنَّها كانت تعيش وتحيا في الأندلس الإسلامية، إلا أن الحقد الدفين عمى البصيرة لرؤية الحقيقة.

2- الطور الثاني:

لقد أدرك أولئك المتعصبين للدين الإسلامي مدى قوته، وانطلاقًا من حقدهم الدفين له بدأوا يستميلون العواطف الدينية لشعوبهم الغارقة في الجهل، فنشروا أفكارًا كاذبة عن الشعوب المسلمة وعن دينها، فوصفوهم بوحوش مُتعطشة للدماء وآلات دمار وتخريب إضافة إلى ظهور الأطماع المادية خاصة بعد اكتشافها عن كثب عبر أولئك الرحَّالة للبلاد العربية، ضِف إلى ذلك استراتيجية المكان، وأهميته بالنسبة للتجارة، كل هذا مهَّد لبداية أحداث جديدة في تاريخ علاقة الشرق بالغرب.

و نقصد في الحديث عن هذا التحول تلك الحروب الصليبية أو ما سمَّاها الغرب "حروب الرِدة والاسترداد"، والتي كان يرى فيها الغرب تحديًا للحضارة الإسلامية إلا أن تأثيرها كان بالغًا في الطرفين"، حيث استمرت تستنزف أوروبا وديار المسلمين على السواء طيلة ثلاثة قرون متوالية بعد بدايتها عام (1097م) ونهايتها عام (1291م) عندما انتصر المماليك في معركة عكا التي كانت النهاية لتلك الحروب الدموية"[2]، لكن ظاهر هذه الحروب لا يشكل خطرًا مقارنة بباطنها، فالتغلغل الذي قامت به هذه الجيوش في البلدان العربية مهَّد الطريق لأولئك المستشرقين، وقربهم من عِماد ازدهار الحضارة الإسلامية في ذلك المخزون المعرفي الهائل من علوم الطب، والرياضيات والفلك، وغيرها، والتي جَهد المسلمون في العمل عليها حتى قاموا بحضارتهم، هذا

1 معجم أسماء المستشرقين، يحيى مراد، ص: 58.

2 نقد الخطاب الاستراقي، ساسي سالم الحاج، ص: 44.

المخزون الذي كانت أوروبا بحاجة إليه لتأخذ منه، وتنتشل به أوطانها التي كان الركود يُخيم عليها، ومن ثَمَّ اللحاق بالحضارة الإسلامية، والتاريخ يشهد على ذلك، "فحين اضطر المسيحيون إلى الخروج من بلاد العرب عقب معركة عكا بصفة نهائية آنذاك رافق ذلك الخروج الاستيلاء على آلاف الكتب، والمخطوطات العربية ونُقلت إلى المكتبات الأوروبية"[1].

بعد أن اقتنع الأوروبيون من أنه لا سبيل لقيام حضارتهم إلا بالعمل وفق هذا المخزون المعرفي الذي استولوا عليه، خاصة وأنَّها طريقة لا تُكلفهم لا عُدةً، ولا عتادًا راحوا يرسلون البعثات العلمية الواحدة تِلو الأخرى للاستفادة من هذا الكنز وبكل الطرق، والسبل المُتاحة، وقد كانت هذه الحروب من بين الطرق للحصول على مخطوطات الشرق، لِيستمر الحال على ما هو عليه طيلة قرون من الزمن حتى بعد نهايتها.

وفي الحقيقة لم تكن هذه الأسباب وحدها هي التي دفعت أوروبا إلى الاهتمام بالشرق، بل هناك سبب آخر، فبعد أن أدرك الغرب سُبل التفوق الحضاري عند المسلمين فكريًا، وحضاريًا، واقتصاديًا، وإذا أراد التقدم عليهم وجب عليه السير وفق الطريق الذي سارت فيه الحضارة الإسلامية، ولن يحصل ذلك إلا إذا استغنى عن عصبيته، فيتمكن من تعلم اللغة العربية، لأنها الوسيلة لترجمة العلوم العربية التي أنشأها أصحابها، وطوروها، وعملوا بها"، ومن هنا بدأ اهتمام أوروبا باللغة العربية يزداد وينتشر حتى اهتم فريدريك الثاني ملك صقلية نهاية القرن الثامن عشر الميلادي والفونس ملك قشتالة في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي"[2] وسارت أوروبا على هذا النحو، فأنشأت المدارس، والمعاهد في العديد من بقاعها لتعلم اللغة العربية.

---

1 الظاهرة الاستشراقية، ساسي سالم الحاج، دار المدار الإسلامي، ج1، ط1، 2003، ص: 44.
2 المستشرقون والإسلام، إبراهيم عبد المجيد اللبان، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، 1970م، ص: 11.

بعد أن أظهر الرهبان والمبشرون عجزهم على التبشير، لقلة تزودهم بالبراهين والحجج التي تساعدهم على ذلك، لِجهلهم بلغات الشعوب التي يُراد التبشير فيها والشعوب العربية خاصة، كُل هذا دفعهم إلى وجوب تعلم اللغة العربية، فيتمكنوا من التزود من العلوم العقلية، كالفلسفة، وعلم الكلام، ومنذ ذلك العهد بدأت المدارس التي تُعلم اللغة العربية في الانتشار.

و من هنا يتضح أن الحروب الصليبية كان لها الأثر البالغ في نُمو وتقدم الاستشراق، إذ يُعد هذا الطور فعلاً طور الانطلاق والتقدم للاستشراق.

3- الطور الثالث:

أُطلق على هذا الطور" مرحلة التجسيد" أو "مرحلة الإثمار"، لأن المستشرقين بدأوا في جني ثمار أعمالهم وجهودهم التي اِستمرت طيلة قرون عديدة، فبعد اِنقضاء فترة الحروب الصليبية، والقرون التي تلتها بدأ التطور الحضاري ظاهرًا في أوروبا، ولم يكن يتأتى لها ذلك لولا الجهود المُضنية التي قام بها المستشرقون والرهبان، ورجال الدولة كما أنَّ لإنشاء الجامعات، والمعاهد والدور دورًا بالغًا في نشر الثقافة العربية وعلومها التي عكف الطلبة المتخرجون من المعاهد والجامعات على نشرها، إضافة إلى مُواصلة الأوروبيون السير على نهج هؤلاء، ولم يتوقفوا عند هذا الحد فحسب، بل راحوا يتعمقون أكثر فيما تركه لهم أسلافهم من علوم.

كل هذا عزَّز من اِنتشار اللغة العربية في تلك الطبقة المثقفة، لتصبح لغة الحضارة والتقدم لديهم"، ومن ثمَّ فإن تعلمها وآدابها أخذ بأحد أهم أسباب النهضة الموجودة في أوروبا بأسرها"[1].

1 الترجمة الأدبية من العربية عند المستشرقين، أندلوسي محمد، ص: 58.

كان للطباعة والنشر دورًا بالغًا في اِنتشار اللغة العربية، والتي ساهمت في حركية الدوائر العلمية، وأخذت تُصدر كتابًا بعد الآخر، مُنقحة بأفكار استشراقية في الغالب لأنها كانت في بدايتها تصدر عن مطابع" أنشأتها فرديناند دي ميديتشي كارل دينال ودوق توسكانيا الأكبر، ولا مرية في أنه أخذ من العمل التبشيري مبررًا لإنشائها وأخذت هذه المطبعة منذ البداية في طبع المؤلفات الطبية، والفلسفية لابن سينا، وكتبًا في النحو، والجغرافيا، والرياضيات، وغيرها من العلوم العربية وآدابها"[1].

و من الأسباب الهامة، والجديرة بالذكر التي ساهمت في تطور الاستشراق في هذه المرحلة سقوط الأندلس على يد الاسبان، والتي كانت تزخر بكمٍ هائل من المخطوطات، والكتب العربية التي عكف المستشرقون على البحث، والدراسة والتحقيق فيها، فتكونت لديهم معارف واسعة عن الشرق من حيث شعوبه، وعاداته واقتصادياته، وطرق تجارته، ومواطن القوة والضعف فيه، أما عن الأمور التي مَيزت هذه المرحلة هي عدم اكتفاء المستشرقين بالعالم العربي فحسب، فالأطماع الأوروبية زادت بعد اِكتشافها لأصقاع أخرى كالصين، وعوالمها السحرية، وروعة الهند وأهمية موقعها الجغرافي سياسيًا، واِقتصاديًا جعلت الغرب يُفكرون في الاستيلاء عليها والهيمنة على مقدراتها المختلفة، وهذه الرغبة لا سبيل لتحقيقها إلا بعد القيام بدراسات مُسبقة مُفصلة لإعطاء فكرة واضحة عن هذه الأصقاع تكون بمثابة توطئة للاستعمار وليس هناك من يستطيع القيام بهذه المهمة أكثر من المستشرقين، فقد سخَّرت لهم حكوماتهم المال الوفير، والحماية اللازمة لإنجاز هذه المهمة، وفعلاً قاموا بمهمتهم على أكمل وجه، وقدَّموا لحكوماتهم ما تحتاج إليه لتُنفذ خُططها بعد ذلك.

IV- مدارس الاستشراق:

1 فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، د. أحمد سمايلوفيتش، ص: 78.

يبدو أنَّ الاختلاف في مدارس الاستشراق يُعد عَقبة أمام أولئك الباحثين الذين كتبوا فيه، وهذا ما يُشكل نقطة خلاف بينهم، فهو" ذا صعوبة بالغة إذ لم يتطرق إليه الدارسون إلا في حالات نادرة حتى الذين بحثوا فيها ذهبوا مذاهب مختلفة يستحيل التوفيق بينها ويصعب قبولها كلها إلا بحذر شديد وحِرصٍ بالغ"[1].

1- المدرسة الفرنسية:

قبل الحديث عن المدرسة الاستشراقية الفرنسية، يجب الحديث عن العلاقة الثقافية بين فرنسا والمشرق العربي الإسلامي والمشرق الأدنى خاصة، فهي علاقة حيوية نشيطة، فرغم اختلاف درجاتها بين التنافس، والانجذاب، والتنافر وكذا مُحاكاة النموذج الآخر أو البحث عن نقيضه، إلا أنَّها لم تنجح أبدًا إلى التفاعل أو التجاهل، ذلك منذ اللقاء التاريخي الأول بينهما اِثر غزو جيوش المسلمين جنوب فرنسا، واحتلالها لبعض مُدنها، واستمرت في محاولة تعاون الرشيد وشارلمان على الخلافة الأموية في قرطبة، وقيام الحرب الصليبية.

تميّزت المدرسة الفرنسية عن باقي المدارس" بالوضوح، والإفصاح، والجلاء في التعبير، والدقة في البحث"[2]، فنجد صاحب المدرسة يسعى إلى أن يُقدم موضوعه بصورة واضحة بسيطة بعيدة عن الغموض، واللُبس، كما يحاول أن يتحرى الدقة في عمله.

من أعلامها:

1فلسفة الاستشراق وأثرها في الدب العربي، د. أحمد سمايلوفيتش ص: 219.
2 المصدر نفسه، ص: 222.

- جير بيردي اورلياك (930م-1003م)[1]: يتفق أغلب الباحثين في الاستشراق على أنَّه أقدم من مَثَّل الاستشراق المعروف حاليًا، تلقى علوم الهندسة والميكانيك، والفلك، وسائر العلوم المعروفة في ذلك العصر على أيدي علماء العرب، والمسلمين بالأندلس، أول من أدخل الأرقام العربية إلى فرنسا تقلَّد عدة مناصب في السلطة والكنيسة، لا تُعرف له أعمالا ، إلا أنَّ له الفضل في دخول العلوم العربية إلى العالم الأوروبي المسيحي، كما شجَّع على الترجمة من العربية إلى اللاتينية، توفي سنة(1003م).
- بطرس المحترم(1092م- 1156م)[2]: رجل دين لاهوتي فرنسي، تدرج في سلك الرهبنة منذ نعومة أظافره حتى صار وهو في الثلاثين من عمره رئيسًا لدير كلوني، له مساهمات في الدراسات الاستشراقية عن العالم والمسلمين، لم يترك أعمالاً كثيرة تشهد له بطول الباع في التأليف، عدا عمل واحد "ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية"، انتهى من هذه الترجمة سنة(1143م)، وهي تُعد أول ترجمة للقرآن الكريم إلى اللاتينية، توفي سنة(1156م).

2- المدرسة الإنجليزية:

"كان الاستشراق الانجليزي من بين أول وأوسع ما عرفته أوروبا من استشراق "[3]، وزاده دعمًا في ذلك استعمار بريطانيا الأندلس والقدس، والهند، والصين والعراق، ومصر، وفلسطين، تنوعت المواضيع التي درسها المستشرقون البريطانيون من اللغات، والآداب، والعلوم، والفنون، والعقائد، والتاريخ، والجغرافيا ناهيك عن التنقيب عن الآثار، وحل رموزها، ووصف رحلاتهم، ومن بين القضايا التي اهتم بها المستشرقون البريطانيون اللغة فأنشأت أول أقسام لها أول كرسي بجامعة كمبريدج من قِبل الدير توماس، وعُين أبراهام ويلوك أول أستاذ لها عليه ثم

1 موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، دار العلم الملايين، بيروت، ط3، تموز/يوليو 1993، ص: 178.
2 المصدر نفسه، ص: 110.
3 المستشرقون، نجيب العقيقي، دار المعارف، مصر، 1964، ط3، ج2، ص: 429.

أنشأ كبير الأساقفة لور كرسيًا بجامعة أكسفورد عام(1636م)، وترأسه ادوارد بوكوك الأب أستاذًا لها عليه.

تميزت المدرسة الإنجليزية "ما تميز به الانجليز من أخلاقية، وصفائية فصاحبها باستمرار دؤوب، صبور، جليد في بحثه يقلِّبه على وجوهه دون أن يتأثر أو تبدو عليه مظاهر الانفعال حتى يستفرغ كل مدلوله... فهو إلى هذا واقعي موضوعي، ينفر من العندية التجريد"[1].

من أعلامها :

- ديفيد صموئيل مرجليون[2]: من المستشرقين المشهورين بعلاقاتهم بالأدب والتاريخ العربي الإسلامي، كانت بداياته العلمية مع دراسة اليونانية، واللاتينية تعلم ودرس تاريخ العرب والمسلمين، وآدابهم، اقترن اسمه بنظرية النحل التي نقلها الراحل" طه حسين" في كتابه " في الشعر الجاهلي"، من مؤلفاته نشر:
  - كتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي(1915م)، رسائل أبي العلاء المعري(1919م).
- فول بوشبيك[3]: وُلد في مدينة كوبين من كومين الأفالند، تعلم اللغات الشرقية فأسفره فردينال الأول إلى الباب العالي، حيث اقتنى خلال إقامته سبع سنوات بآستانة(240) مخطوطًا، عاد بها إلى فيينا، ومازال في مكتبتها مجموعة بخطه، وقد صنف كتابًا بعنوان(آثار أنقرة).

1 فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، د. أحمد سمايلوفيتش، ص: 223.
2 شخصيات من الشرق والغرب، نجم الدين غالب الكبيب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1969م، ص: 112.
3 المستشرقون، نجيب العقيقي، ص: 676.

3- المدرسة الألمانية:

ذكر أحمد سمايلوفيتش في كتابه (فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر)، أن المدرسة الألمانية" اعتمدت أصلاً على المدرستين السابقتين"[1]، أي المدرسة الفرنسية والانجليزية، "ويرجع اتصال ألمانيا بالشرق إلى الحملة الصليبية الثانية(1147م- 1149م)، وعودة حُجاجها من الأرض المقدسة ووصفهم لها ونقلهم عنها شيئًا من حضارتها، وقيام الرهبان بالترجمة عن العربية والأندلس، وفيهم الألمان"[2]، أما عن بداية الدراسات العربية في ألمانيا فهي تعود إلى وصول مخطوطات بوشل إلى مكتبة أمير منطقة بفالز، وقد تَميز المستشرقون الألمان بالجدية، والبحث حتى اصطبغت الدراسات الإسلامية في وقت من الأوقات بالصبغة الألمانية، "و مع هذا فإن المدرسة الألمانية وحدها أظهرت اهتمامًا علميًا جادًا بالإسلام في وقت مُبكر عن غيرها من المدارس الاستشراقية الأوروبية"[3].

ومن أعلامها:

- كارل بروكلمان(1868م- 1956م)[4]: وُلد في 17 سبتمبر 1967م في مدينة روستوك، بدأ دراسة اللغة العربية وهو في المرحلة الثانوية، درس في الجامعة بالإضافة إلى اللغات الشرقية اللغات الكلاسيكية(اليونانية واللاتينية) على يدي المستشرق نولدكه، اهتم بدراسة التاريخ الإسلامي، وله في هذا المجال كتاب مشهور(تاريخ الشعوب الإسلامية)، لكنه مليء بالمغالطات والافتراءات على الإسلام، من مؤلفاته " تاريخ الأدب العربي" الذي تُرجم إلى ستة مجلدات

1 فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، د. أحمد سمايلوفيتش، ص: 223.

2 المستشرقون، نجيب العقيقي، ص: 687.

3الفهرس الوصفي للنسخ الخطية، يوسف حسن بن عبد الهادي، غراس للنشر والتوزيع والإعلامية، ط1 (1433ه/2012م)، ص: 17.

4 موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، ص: 98.

وفيه رصدًا لِما كتب في اللغة العربية في العلوم المختلفة من مخطوطات ووصفها، ومكان وجودها.

- فلوجيل(1802م-1870م)[1]: أشهر أعماله تحقيق "كشف الظنون" و"التعريفات"، وتأليفه " نجوم الفرقان في أطراف القرآن "، وهو أول معجم مفهرس لألفاظ القرآن الكريم في اللغة العربية، من أعماله الرائدة أنه صاحب أول كتاب في مدارس العرب النحوية، نشره عام(1862م)، خلافًا لما هو سائد بين الدارسين المحدثين(جولد فايل)المولود بين عام(1883م) و(1888م).

4- المدرسة الهولندية:

"يَذكر قاسم السامرائي في كتابه (الاستشراق بين الموضوعية والانفعالية) أنّ الاستشراق الهولندي لا يختلف عن الاستشراق الأوروبي في أنّه انطلق مدفوعًا بالروح التنصيرية، وأنَّ هولندا كانت تدور في فلك البابوي الكاثوليكي"[2]، فلم يكن الاستشراق الهولندي بمعزل عن الاستشراق الأوروبي إذا، فكان الهدف واحدًا والاهتمامات التي دأب المستشرقون على تحقيقها واحدة إلا أنَّ الهولنديين لم يكونوا متعصبين للإسلام، والمسلمين كتعصب الغرب، بل كانت نظرته ومعاملتهم ليِّنة، وكما كنَّا قد تطرقنا فيما سبق إلى السبيل الذي بلغ به الغرب أعماق الأمة الإسلامية ألا وهو اللغة، فالهولنديون أيضًا لم يجدوا طريقًا إلى ذلك سوى اللغة، إذ كان اهتمامهم بها كبيرًا، فأنشأوا كراسي اللغة العربية بدءًا بجامعة ليدن، التي تأسست في القرن السادس عشر الميلادي، فاستحوذت على صِيتٍ واسع في مجال الدراسات العربية، والإسلامية، وحجزت اللغة العربية كرسيًا لها سنة(1613م)، وأول من عُينت فيه توماس اربانيوس، ثم جامعة جروننجين (1614م)، جامعة أمستردام البلدية (1632م)، جامعة أوترخت (1633م) المعهد الملكي للغات، والجغرافيا، والسلالات البشرية(1751م)، المعهد الشرقي لدراسات

1 البحث اللغوي في دراسات المستشرقين الألمان (رسالة ماجستير)، عبد الحسن عباس حسن الجمل الزويني إشراف أ.د. محمد عبد الزهرة غافل الشريفي، جامعة الكوفه، (1431ه/2010م)، ص: 07.

2 مدارس الاستشراق، المدرسة الهولندية، شبكة الألوكة.www.alukah.net

الشرق، والإسلام باللغات السامية والأندلسية(1917م)، أما عن المكتبات، فنجد بها مكتبة ليدن، وتضم أنفس المخطوطات في العالم. قضى المستشرقون الهولنديون قرونًا في جمعها، مكتبة المجمع الملكي في أمستردام مكتبة جامعة أوترخت مكتبة جمعية الفنون في باتافيا.

"ومما يميز الاستشراق الهولندي وجود مؤسسة بريل التي تولَّت طباعة الموسوعة الإسلامية، ونشرها في طبعتها الأولى والثانية، كما تقوم هذه المؤسسة بطباعة الكثير من الكتب حول الإسلام والمسلمين، كما لا يفوتنا أن نُشير إلى أنَّ اهتمامات المستشرقين الهولنديين لم تقتصر على اللغة فحسب، بل تعدَّت ذلك إلى الاهتمام بتحقيق كتب التراث، ونشرهم لنفائس المؤلفات التاريخية والدينية، والأدبية خاصة التراث الأندلسي"[1].

من أعلامها:

- أرنت فنسنك(1881م- 1939م)[2]: أتقن اللغات السامية، وتخصص في أديان الشرق، فذهب له فيها صيت بعيد، أُنتُدب أستاذا للعبرية في جامعة ليدن (1908م)، ثم خَلف ستوك هرجرونجة في كرسي العربية حتى وفاته (1927م) وضع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث مع مجموعة من المستشرقين، تولى تحرير دائرة المعارف الإسلامية بلغاتها الثلاث (1924م)، وأسهم فيها بعدد كبير من المقالات. من آثاره: "موقف الرسول من يهود المدينة"، وهي رسالته في الدكتوراه "محمد واليهود"، "فهرس ذيل الحديث"، و"قيمة الحديث" في الدراسات الإسلامية....

1مدارس الاستشراق، المدرسة الهولندية، شبكة الألوكة.
2 المستشرقون، نجيب العقيقي، ص: 667.

الفصل الأول

دور الاستشراق في صناعة المعجم العربي

إنَّ الغاية من هذا الفصل هي الحديث عن الدور الذي لعبه الاستشراق في إحياء التراث الإسلامي عامة، وفيه سنحاول الوقوف على العمل الذي قام به المستشرقون لإحياء تراثنا بجوانبه المختلفة، هذا الدور الذي لا يمكن لأحد مِنّا إنكاره، في الوقت الذي تقاعس أصحابه عن الاهتمام بِه، وفي هذا يقول إبراهيم النملة: "وللمستشرقين أثر «دور» واضح في خدمة التراث العربي الإسلامي منذ أن استقام عود الاستشراق وتكونت لديه العرافة وتحول من مجرد أداة هدم إلى ظاهرة لها كيانها، ومدارسها وفئاتها، ومُنطلقاتها وأهدافها"[1]، مُبرزين بذلك الجانب الإيجابي في هذه القضية، علَّنا قد نأخذ بها، ونسير على خطاهم، كما نكون قد وفَّينا هؤلاء بعضا من حقهم في تقدير ما قدموه من أعمال لتراثنا.

ولعل أهم ما نتطرق إليه تلك الجهود التي بذلها المستشرقون في جمع المخطوط ونسخه، ثم تحقيقه ونشره.

- الترتيب والفهرسة.
- التأليف.
- اللغة.
- النقد.
- الترجمة.
- المناهج التي اعتمدها المستشرقون في أعمالهم.
- وأخيراً الصناعة المعجمية.

1 إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي، د. علي بن إبراهيم النملة، ص:20.

I- جمع المخطوط :

قام المستشرقون بجمع المخطوط العربي أينما كان، وحيثما وُجد، وبِشتى الوسائل المتوفرة، فساروا إلى مواطنها مكابدين بذلك عناء التنقل، والسفر لجلبها، مُتحلين بصبر عجيب، ونفس طويل في البحث والدراسة، لم تُثنهم في سبيل ذلك تلك الظروف القاسية التي كابدوها، مُتسلحين في العديد من المرات بتلك الانتقادات الموجهة لأعمالهم فقد كانوا مُستمعين لها، أخذينها مأخذ الجِد، كما ساهم اطلاعهم، وإتقانهم للعديد من اللغات والعربية منها في سير عملهم، وقد "أشاد بذلك العديد من العلماء العرب بهذا التفاني للعلم والرغبة في البحث الشاق بهدف المعرفة الشاملة، ومن هؤلاء الشيخ مصطفى عبد الرزاق الذي أبدى إعجابه بصبرهم ، وحسن أسلوبهم، وسعة اطلاعهم"[1] وربما قد يتساءل سائل لِما كل هذا العناء والجهد؟، فالإجابة واضحة لا تغيب عن عاقل فالسبب هو وعيهم التام بقيمة هذه المخطوطات، وما تحويه من علوم قيمة، ولأهميتها البالغة" كان بعض الحكام في أوروبا يفرضون على كل سفينة تجارية تتعامل مع الشرق أن تُحضر معها بعض المخطوطات"[2].

ولا يفوتنا أن نذكر بعضًا من الظروف التي أعانتهم على العمل لجمع المخطوط العربي، فاستعمار الدول الإسلامية كان سببا مباشرا لذلك، " فمنذ الحملة النابليونية على مصر عام(1798م) تزايد نفوذ أوروبا في الشرق، وساعد ذلك على جلب الكثير من المخطوطات. وكانت الجهات المعنية في أوروبا تُرسل مبعوثيها لشراء المخطوطات من الشرق، فعلى سبيل المثال أرسل (فريدريش فيلهام الرابع) ملك (بروسيا ريتشارد دليسيوس) إلى مصر عام (1742م)، و(هيسريشبترمان) عام (1852م) إلى الشرق لشراء مخطوطات شرقية "[3]، ضِف إلى ذلك استعادة الغرب لبعض المواطن الأوروبية التي فتحها العرب

1 الاستشراق وقضية الإنصاف في أبحاثهم، د.إبراهيم أحمد الكندي، جريدة عمان الأردن http://madina.omandaily.com.

2 الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د. محمود حمدي زقزوق، دار المعارف، القاهرة، ص: 63.

3 المصدر نفسه، ص: 63.

كالأندلس التي تُرك بِها عدد هائل من المخطوطات النفيسة التي كانت بمثابة كنز استحوذ عليه الاسبان، ويُعد هذا سببا مباشرا لتوفر المخطوطات في مكتباتهم وقُربهم منها، يقول عبد الغني حسن: " لقد أعان رجال الاستشراق على أصالة بحوثهم أنَّهم وقع لهم من كنوز التراث الشرقي والعربي، وذخائر أفكاره ما لم يقع لأهله وأصحابه، فقد جاء حين على المخطوطات العربية كانت مجهولة القدر عند أصحابها الذين هم أولى الناس بها، وأحقهم بصيانتها، وحفظها، فانتقلت إلى خزائن الغربيين – فيما انتقل إليهم من التراث الشرقي والعربي– ومن هنا أكبُّوا عليها، وعكفوا على دراستها، وأطالوا البحث فيها حتى استقام لهم من ذلك دراسات سبقونا إليها وكنَّا نحن أحق بهذا السبق "[1]ومن هذا القول يتضح جليا أن المخطوط العربي كان متوفرا في المكتبات الأوروبية ولَربما أكثر منه في المكتبات العربية وما يُعزز هذه الفرضية ما ذكره (ادوارد فان دايك) في مطلع كتابه قائلا: "نلحظ أن 57% من المخطوطات تكاد تنحصر في المكتبات الأوروبية في كل من برلين والأسكوريال وفلورنزا، وجوتهن، وكوبنهاجن، ولايتبزج، ولايدن، ولندن، ولوند، وأوسبالا وأكسفورد، وباريس ورومه وبطرسبرج، وفيناو25% منها في العواصم العربية والإسلامية لاسيما القسطنطينية (اسطنبول)، وبغداد ودمشق، والقاهرة "[2].

لم يكن الجمع والنقل نهاية عمل المستشرقين، بل هو بداية لمهمة أخرى، وإلا فما فائدة كل هذا الجُهد إذا كانت الغاية منه تكديسه في مكتباتهم، كما هو حال أصحابها الأصليين الذين تركوا هذا الإرث العظيم عُرضة للنهب والسلب والبيع خفية لمن يدفع أكثر وفي أحسن الأحوال تُترك حبيسة الرفوف، لِينال منها الغبار، والجرذان ما لم يناله المشتري أو تُبسط على قارعة الطريق، "ومن أسوأ الأحوال أن تمزق أوراق المخطوطة، وتكون وعاء لنقل المادة المشترات من الحلوى، والبقول (الحب)، وغيرها"[3]، وقد تمثلت هذه المهمة في

1 نقلا عن المستشرقون والتاريخ الإسلامي، د. علي حسن الخربوطلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص: 125.

2 إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي، د. علي إبراهيم النملة، ص: 27.

3 المصدر نفسه، ص: 20.

نسخ المخطوط وتحريره، مُستعينين في ذلك بأصحاب هذا الإرث، ليجدوا أنفسهم خدما على كنوز لطالما جَهد فيها أجدادهم، وللأسف كانت لحساب غيرهم، وتمثلت مهمة هؤلاء في النسخ والتحرير شرط تمتعهم بخط حسن، ومن بين هؤلاء الشيخ حسن زيدان، رزق الله حسون، ومحمد عياد الطنطاوي وملازمتهم للعلماء العرب، والأخذ منهم كأحمد تيمور باشا أحمد زكي باشا، فؤاد سيد، أحمد عبيد، وغيرهم، فأخذوا واستفادوا منهم.

وفي حديثنا عن قضية الجمع الذي قام به المستشرقون يجب علينا قول كلمة حق فيهم، هو أن انتقال المخطوطات العربية الإسلامية إلى أوروبا، وبشتى الوسائل قد كان في صالحها وفي صالحنا نحن، فالمستشرقون هيئوا لها أحدث وسائل الحفظ والعناية الفائقة وصيانتها من التلف، لذا لا نأسى عليها، ولندع الحسرة تلفنا لِما آلت إليه المخطوطات من تلف وتآكل، وهي حبيسة الرفوف والمستودعات عندنا.

وما يزيد الأمر حسرة هو جهل وُلاَّة أمر المسلمين من علماء، وباحثين، وأئمة ومشايخ لكثير من هذه المخطوطات خاصة النفيسة منها، فنجد الشيخ أمين الخولي بعد أن استمع لِبحث قامت به باحثة من المستشرقين عن نوادر مخطوطات القرآن الكريم في القرن السادس عشر أثناء حضوره لمؤتمر المستشرقين الدولي الخامس والعشرين يقول: " لقد قدمت السيدة كراتشكوفسكي بحثا عن نوادر مخطوطات القرآن الكريم في القرن السادس عشر الميلادي، وإنِّي أشك في أن الكثيرين من أئمة المسلمين لا يعرفون شيئا من هذه المخطوطات، وأظن أن هذه مسألة لا يمكن التساهل في تقديرها "[1].

1 الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د.محمود حمدي زقزوق، ص: 64.

II- التحقيق والنشر:

لم يتوقف عمل المستشرقين عند الجمع فحسب، بل واصلوا عملهم بعده إلى التحقيق والنشر، إذ قاموا بتحقيق كم كبير من التراث، وهذا ما راح العقيقي يعمل على حصره، وإن كان عمله هذا متفاوتا، إلا أنَّه يبقى عملا يعكس عمل المستشرقين كماً ونوعاً ونذكر منه نشرهم لسيرة ابن هشام والإتقان للسيوطي، والمغازي للواقدي والكشاف للزمخشري، وتاريخ الطبري، والمختصر في حساب الجبر والمقابلة ...الخ.

إن عملهم هذا يُعزز دورهم في مجال التحقيق والنشر عبر مر العصور، فمنذ أن جمعوا المخطوطات راحوا يُحققونها، وينشرونها مع ذلك الكم الذي حصلوا عليه في مكتباتهم، لكن يبقى عملهم هذا متفاوتا لو قارنَّاه بما قام به أهل المخطوطات الأصليين وهم العلماء المسلمين من العرب وغيرهم، ضِف إلى ذلك الاتجاهات التي اعتمدوها في موضوعاتهم، "والمفترض الآن أنَّهم ركزوا على موضوعات معرفية هي على العموم لا تسير على الخط الإسلامي السليم، وربما قيل أنَّ النسبة الكبرى لما حققه المستشرقون ونشروه لا يسير على الخط الإسلامي السليم ، وعند النظر إلى العنوانات أو الموضوعات وحصرها لا يمكن للمرء أن يخرج بهذه النتيجة السلبية "[1]، إلا أن هذا القول لا يمنع من الإقرار بتلك الجهود المُضنية التي بذلها هؤلاء في هذا الجانب، ويذهب إلى هذا الرأي الدكتور عبد الغني حسن في قوله: "لقد كانت جهود المستشرقين المؤرخين في نقل كتب التاريخ العربي الإسلامي أو تحقيقها، ونشرها نشرا علميا مع الفهارس الدقيقة، مما لا ينكره جاحد. وهذه الكتب التي حققوها ونشروها تدل على جهد عظيم، وصبر على العمل، ودقة في الفهرسة، اللهم إلا بعض مآخذ تعود إلى عدم إتقانهم لقراءة النص، تبعا لعدم إتقانهم اللسان العربي، وذلك في حالات قليلة ومستدركة، ولكنها لا تنقص بحال من قيمة عملهم

1 الاستشراق والدراسات الإسلامية، .د.علي بن إبراهيم النملة، ص: 97.

الجليل في هذا الميدان "[1]، أما من حيث المنهج الذي اعتمدوه في دراساتهم، فهو منهج لم يعتمده العرب من قبل، وهو منهج علمي قائم على الإحاطة، والموازنة، والترتيب والاستنباط لبلوغ الحقيقة، إذ نجح المستشرقون في تطبيقه على علومنا، وآدابنا، وفنوننا وما ساعدهم على تطبيقه " أخذهم بأمهات اللغات سامية كانت أو آرية، فدرسوا الكلدانية والآشورية والسريانية... وسائر لغات الشرق الأقصى، فيشر أحسن إحدى وخمسين لغة ولهجة وتحدث دوكيرت بثلاثين "[2]، هذا ما أكسبهم دراية واسعة بثقافات الشعوب التي أرادوا النفاذ إلى حضاراتها، ضِف إلى ذلك "تخصص الواحد منهم بلغة أودين أو علم أو أدب أو فن أو سلالة أو عصر أو أديب، فهذا باللغة وفهمها وبلاغتها، وذاك بالتشريع في الإسلام ونشأته، وتطوره، وتأثره، وآخر بالمواليد الطبيعية عند العرب، والجغرافيا والتاريخ "[3]، وهذا التخصص في العمل جعل صاحبه يتحلى بالمثابرة، وبذل الجهد المضاعف حتى يُلم بكل صغيرةٍ وكبيرة عنه، ومن العوامل الأخرى "جلدهم على العمل الذي ضُرب به المثل، وربما ينقضِ عُمر أحدهم في تحقيق مخطوط أو تصنيف كتاب دون كلل أو ملل، فادموند كاستل قضى في وضع مجمل معجم اللغات السامية ثماني عشرة سنة، وادوارد لين الذي قضى حياته في سبيل معجمه (مدّ القاموس) بالعربية والإنجليزية "[4]، فعلا إنه شيء عجيب أن يقوم أُناس غرباء بأعمال كان الأجدر أن يقوم بها أصحابها، دون النظر إلى الأغراض أو الدوافع لهؤلاء الغرباء.

والجدير بالذكر أن المستشرقين اعتمدوا أُسسا، ومبادءً، وقواعدً ثابتة في تحقيقهم ونشرهم للمخطوطات العربية والإسلامية، هذا ما عزز قيمة هذه الأعمال التي لاقت اهتماما بالغا حتى من العرب المسلمين أنفسهم، ومن بين المستشرقين الذين اعتمدوا هذه

---

1 المستشرقون والتاريخ الإسلامي، د. علي حسن الخربوطلي، ص: 127.

2 المستشرقون، نجيب العقيقي، ج3، ص: 1142.

3 المصدر نفسه، ص: 1144.

4 المصدر نفسه، ص: 1144.

المبادئ المستشرق براجستراسير * في كتابه (أصول نقد النصوص ونشر الكتب) الذي وزَّع مادة مؤلفه على ثلاثة موضوعات رئيسية هي: النسخ والنص والعمل والإصلاح، "أما في الأول فقد تناول فيه مشكلة النسخ الخطية، وتفاوت قِيمها، والطرق التي توصل إلى أفضلية النسخ فيما بينها...، أما الثاني فقد تناول معضلة النص مؤكدا أن ترتيب النسخ واختيار روايتها لا تفي بتهذيب المخطوط، بل لابد من اختيار القراءة الصائبة، والنقد وسيلة إلى هذا الاختيار "[1].

كما أشار إلى قضية التنقيط والتفليق، فهو يرى فيها أهمية بالغة في تحقيق المخطوط ونشره، ثم أنهى بحثه هذا بقاعدتين أساسيتين في نقد النص، وهذا ما أيَّده فيه بعض النُقاد، وهما: النص الأقصر هو الصحيح، والثانية أن النص الأصعب هو الصحيح لكن هاتان القاعدتان قد تصيبان أحيانا، وتخطئان أحيانا أخرى، وختاما لِعمله راح يُشبه النص المغلوط الذي تتفق عليه كل النسخ بالمريض، وشبَّه الناقد بالطبيب بقوله: إنَّ أول وظيفة للطبيب هي أني تحقق هل كان المريض مريضا في الأصل؟ بعدئذ عليه أن يُعين العضو المريض ثم يستدل على نوع المرض الواقع به وكذلك الأمر بالنسبة للناقد الذي لابد أن يُجهد في استخراج الخطأ ثم يتقدم بإصلاحه إصلاحا بناءا "[2].

هذا هو وباختصار اتجاه برجستراسير في عمله (أصول نقد النصوص ونشر الكتب)، الذي يُعد من أروع ما كتب بالعربية في مثل هذا الفن، كما لا يفوتنا أن نُقدم نِسبا مما تم تحقيقه ونشره من تراثنا من خلال ذلك العمل الذي قام به عبد العظيم الديب في كتابه(المستشرقون والتراث)، معتمدا على مصدرين أساسيين: (معجم المخطوطات العربية)

* مستشرق ألماني ولد سنة (1886م) بجوتهلف، تعلم في جامعة ليبزيج، وأخذ بها ليسانس وشهادة الدكتوراه، أخذ العربية على يد أوغست فيشر، رحل إلى تركيا وفلسطين ودرَّس لهجاتها العامية، أنتدب للتدريس في جامعة الآستانة ثم درَّس اللغات السامية والعلوم الإسلامية في جامعة كونجسبرج، من أعماله، حروف النفي في القرآن وهي أطروحته في الدكتوراه، معجم قرآن القرآن وتراجمهم، تاريخ قراءات القرآن... توفي سنة (1933م).

1 فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، د. أحمد سمايلوفيتش، ص: 551-554.

2 المصدر نفسه، ص: 556.

لصلاح الدين المنجد، وكتاب (ذخائر التراث العربي الإسلامي) لعبد الجبار عبد الرحمن لكن يبقى هذا العمل نسبيا غير مضبوط، وهذا ما ذكره، إذْ يقول: "ليس لدينا دراسة دقيقة، تقوم على حصر أعمال المستشرقين في مجال تحقيق التراث ونشره"[1].

بعد أن أحصى كل المخطوطات المنشورة، قسَّمها إلى ثلاثة أجزاء، وحسب الفترات الزمنية:

الفترة الزمنية / الجزء	1954م- 1960م	1961م- 1965م	1966م-1970م
الجزء الأول	414		
الجزء الثاني		352	
الجزء الثالث			430

ثم أحصى ما قام به المستشرقون فكانت النتيجة كالآتي :

- الجزء الأول:58 عنوانا.
- الجزء الثاني:17 عنوانا.
- الجزء الثالث:18 عنوانا.

وعلى ذلك تكون النسبة المئوية لما نشره المستشرقون إلى ما نشرناه كالآتي:

- في الجزء الأول:14%.
- في الجزء الثاني:04%.
- في الجزء الثالث:04%.

ويكون متوسط النسبة بين الأجزاء كلها هو07%.

1 المستشرقون والتراث، عبد العظيم الديب، درا الوفاء للطباعة والنشر، مصر، ط3، (1413هـ/1992م)، ص: 07.

أما عن الطريقة التي اتبعها مع كتاب (ذخائر التراث العربي الإسلامي)، فهي تختلف عن الطريقة التي اتبعها مع (معجم المخطوطات العربية)، فقد اتبع أسلوب العينة العشوائية، "فاختار عددا متساويا من الصفحات من كل مائة بدون ترتيب، فحصل على ست وخمسين صفحة "[1] بواقع ثماني صفحات من كل مائة، من المئات السبع، فكانت النتيجة أن حصر المؤلفات المنشورة، وعددها ثلاثمائة وعشرين عنوانا (320)، كان منها اثنين وثلاثين (32)عنوانا، وتكون النسبة عشرة بالمائة (10%).

إلا أن هذه الثمار لم يكن لِيجنيها المستشرقون لولا تلك الظروف التي ساعدتهم على مهمتهم كإنشاء المطابع لطبع إنتاجهم في البلدان الغربية، والشرق الأوسط والأقصى وشمال إفريقيا، وتحديدا في الطور الثالث كما ذكرنا سالفاً، "حيث بدأت الطباعة العربية فيه بنشاطها، فتحركت الدوائر العلمية، وأخذت تصدر كتابا بعد الآخر"[2]، ثم تعددت مطابع الجامعات، والمكتبات، والجمعيات، والمراكز الثقافية والعلمية والأثرية، وفي شتى العلوم الطبية، والفلسفية لابن سينا، وكتبا في النحو والجغرافيا، والرياضيات، وغيرها، مركزين في ذلك على الدقة العلمية، وإتقان الطباعة، ورونق الحروف لجلب القارئ والمطلِع إليها.

أما المجلات والدوريات الشرقية فهي تزيد عن ثلاثمائة مجلة متنوعة خاصة بالاستشراق، تمَّ نشرها بمختلف اللغات، تناولت أبحاث الشرق لغة، ودينا، وعلما، وفنا قديما وحديثا، وجدير بنا أن نذكر أقدم مجلة أصدرها المستشرقون، واهتمت بالدراسات الإسلامية والعربية، وهي "المجلة الأسيوية التي يرجع الفضل في صدورها إلى البارون الفرنسي دي ساس (1758م–1838م)، والذي يعتبره كثير من المستشرقين إمامهم ورائدهم "[3] .

---

1 المستشرقون والتراث، عبد العظيم الديب، ، ص: 13.

2 فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، د. أحمد سمايلوفيتش، ص: 58.

3 المستشرقون، نجيب العقيقي، ج1، ص: 180.

ولا نود أن نطوي الحديث عن هذا الجانب دون أن نُقدم شخصيات كان لها الفضل فيه:

- أليفي بروفنسال (توفي سنة 1956م)، حقق طائفة من الكتب، من ألمعها (كتب نسب قريش لمصعب الزبيري).
- أمبرتور تزينال الإيطالي (ديوان الفنلوبي الصقلي).
- أنس خلدون الروسي (المنازل والديار، لأسامة بن منقذ).
- اوسكار لوفجرين السويدي (الإكليل للهمذاني 1،2).
- ايفان فاجز الألماني (ديوان أبي نواس).
- الآنسة ايلزة شتيتر الأمريكية (كتاب المحبر لابن حبيب).
- شارل بلات الفرنسي، له نشاط ظاهر في نشر كتب للجاحظ منها (البغال) و(التربيع والتدوير) و(الجواري والغلمان).
- كراتشكوفسكي الروسي (المتوفى سنة 1951م)، له ما يربو عن أربعمائة وخمسين أثرا بين مصنف، ومترجم، ومفسر، ومنقول باللغات الروسية والفرنسية والألمانية، والعربية، ومن تحقيقاته (الأخبار الطوال للدينوري) و(طبقات الشعراء لابن المعتز) و(كتاب البديع لابن المعتز).
- الأب هوبتي الهولندي، له (المجموع المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار) "[1].

1 قطوف أدبية ودراسات نقدية في التراث العربي حول تحقيق التراث، عبد السلام محمد هارون، مكتبة السنة، القاهرة ط1، (1409هـ/1988م)، ص: 32-63.

III- الترتيب والفهرسة:

للمستشرقين الأثر الواضح في تلك الجهود التي بذلوها في مجال الفهرسة والترتيب ولأهمية الفهرسة والترتيب للكتب العلمية بتسهيل مراجعتها، فقد أولاها المستشرقون عناية كبيرة، ما دفع بعض العلماء العرب إلى الاعتراف بقيمة أعمالهم في العصر الحديث ومنهم الشيخ أحمد شاكر رحمه الله، "فقد قام الوارد HLWARDT بوضع فهرس للمخطوطات العربية في مكتبة برلين في عشرة مجلدات بلغ فيه الغاية فنا ودقة وشمولا وقد صدر هذا الفهرس في نهاية القرن الماضي، واشتمل على فهرس لنحو عشرة آلاف مخطوط، وقد قام المستشرقون في الجامعات، والمكتبات الأوروبية كافة بفهرسة المخطوطات العربية فهرسة دقيقة، وتقدر المخطوطات العربية الإسلامية في مكتبات أوروبا بعشرات الآلاف، بل قد يصل عددها إلى مئات الآلاف "[1].

ولا يفوتنا أن نذكر ذلك "العمل الكبير الذي قاموا به تحت إشراف (إرنيت يان فنسنك)، وآخرين في (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف)، الذي ظهر في سبعة أجزاء، وغطى الكتب الستة، ومسند الدرامي، وموطأ الإمام مالك، ومسند الإمام أحمد بن حنبل"[2]، والعمل الآخر الذي قام به كل من (فيشر)، و(برروليونلخ)، حيث حاولا حصر شواهد الشعر في أمهات كتب النحو العربية في كتاب صدر في كل من لايتبزج وفيينا سنة (1934م–1954م)، وطبعته أوتوتزيلر في أوزنابروك بألمانيا سنة(1982م) في (352 صفحة) .

1 الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د.محمود حمدي زقزوق، ص: 63.

2 الاستشراق والدراسات الإسلامية، د.علي بن إبراهيم الحمد النملة، ص: 105.

IV- التأليف:

أما عن التأليف فإن الحديث سيكون عمَّ أنتجه المستشرقون في حد ذاتهم، فهم لم يكتفوا في إثراء ما تحصلوا عليه، بل عقدوا العزم على التأليف في جميع المجالات العربية والإسلامية، "فقد ألَّفوا في التاريخ العربي الإسلامي، وفي علم الكلام، وفي الشريعة، وفي الفلسفة الإسلامية، والتصوف الإسلامي، وفي تاريخ أدب اللغة العربية وفي الدراسات المتعلقة بالقرآن والسنة، وفي النحو العربي، وفقه اللغة، ولم يتركوا مجالا من مجالات العلوم العربية والإسلامية إلا وألَّفوا فيه"[1]، لكن لا يجب أن ننخدع بكل ما ألَّفوه، ففيها مؤلفات ذات فائدة للباحثين، وأخرى تزخر بالأكاذيب والأقاويل المغلوطة، خاصة تلك التي مسَّت المسلمين في دينهم، وفي نبيهم، وفي معتقداتهم، لذا وجب علينا التأكد والتمحيص في هذه المؤلفات.

ومن مجموع ما ألفه المستشرقون، سنأخذ بعضا مما له قيمة علمية:

1- تأليف دائرة المعارف الإسلامية:

وهي ثمرة لتلك الجهود التي بذلها علماء الاستشراق في العالم كله، إذ تُعد أكبر عمل قاموا به على الإطلاق، وكان الغرض من إخراجها "أن يجمعوا معلوماتهم وأبحاثهم وأفكارهم في مؤلف واحد شامل يحيط بكل ما يتعلق بالإسلام والعرب والقرآن، ولم يأتي مؤلفهم هذا اعتباطيا، وإنَّما أعدُّوا له قرابة العشرين سنة أو يزيد"[2] وبحق فهو عمل ذات قيمة كبيرة، خاصة بالنسبة لكل باحث أو عالِم إسلامي، فهي بمثابة خزان ضخم، إذ تَضم العديد من البحوث ذات الصلة بالإسلام عامة، والعرب خاصة، فقد عالجت هذه البحوث أحوال البلاد الإسلامية، وكل ما يَمُت إليهم بصلة كالدين، واللغة، وأطوار حياتهم، وأحوالهم الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والسياسية والعلمية...إلخ.

كما تُعد مرجعا لمجموعة كبيرة من المراجع، فقد حوَت العديد من المواضيع التي تم جمعها، مما يُغني الباحث عناء البحث عن مبتغاه في مراجع متفرقة، فيكفيه العودة إليها

1 الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د.محمود حمدي زقزوق، ص: 27.

2 فلسفة الاستشراق وأثره في الأدب العربي والمعاصر، د.أحمد سمايلوفيتش، ص: 567.

إن أراد، صدرت في طبعتها الأولى بالإنجليزية، والفرنسية، والألمانية من عام (1913م إلى1937م)، "تولَّت نقلها إلى العربية لجنة دائرة المعارف الإسلامية من خريجي الجامعة المصرية منذ عام (1933م)، ولكنَّها لم تصل في الترجمة إلا إلى حرف العين"[1].

لم تخلوا من الأخطاء التي اكتشفها مجموعة من العلماء الذين قاموا بترجمتها، ما دفع المستشرقون إلى اجتماعهم في مؤتمرهم الحادي والعشرين بباريس عام (1948م) لاستدراك ما فاتهم، وما وقعوا فيه من أخطاء، استنادا إلى تلك البحوث التي صدرت حديثا وما نُشر، وما أُكتشف من مخطوطات.

2- تاريخ الأدب العربي:

هو من تأليف المستشرق الألماني كارل بروكلمان (توفي سنة 1956م)، "ضمَّنه كل ما كتب باللغة العربية من المدونات الإسلامية، فهو سجل للمصنفات العربية المخطوط منها والمطبوع"[2]، ألَّفه وفق المنهج الذي سار عليه أسلافه، وهو منهج حديث استحدثه المستشرقون الذين أعابوا على العرب طريقتهم التقليدية في التأليف، حيث "كانوا يُركِّزون جهودهم على وضع الأدباء في إطار تاريخي حسب مواليدهم حينًا أو وفاتهم أحيانا أو مواضيع أدبهم في أحايين"[3]، وهذا ما لم يلقى استحسانا لديهم، فهم يرون أنَّ دراسة الأدب العربي يجب أن تقوم وفق تقسيمه إلى عصور، ووفق هذه الرؤية الاستشراقية أخذ الأدب اتجاها آخر تأثر بِه علماء العرب المحدثون.

وإذا عدنا إلى عمل بروكلمان، فإنَّنا نجده قد قسمه إلى خمسة عصور رئيسية: "عصر ما قبل الإسلام، ويبدأ من نقطة لا يمكن تحديدها الآن حتى ظهور الإسلام، عصر ظهور الإسلام حتى نهاية الأمويين عام (750م)، عصر الدولة العباسية حتى نهايتها على أيدي المغول عام (1258م)، عصر ما بعد سقوط بغداد حتى مجيء بونابرت إلى مصر عام (1798م)، عصر البحث الجديد ثم القرن الماضي حتى العصر الحاضر"[4].

1 الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د.محمود حمدي زقزوق، ص: 70.

2 المصدر نفسه، ص: 70.

3 فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، د.أحمد سمايلوفيتش، ص: 564.

4 المصدر نفسه، ص: 564.

إلا أنَّ الاختلاف بين المستشرقين أنفسهم كان جليًا في تقسيم تاريخ الأدب العربي، فنيكلسون ونالينو يختلفان مع بروكلمان في تقسيمه إلى ستة عصور.

لكن هذا الاختلاف لا يُقلل من قيمة ما قدَّمه المستشرقون لدراسة الأدب العربي فجديدهم يُعد بمثابة خطوة عملاقة خطاها أدبنا في دراسته، ونعود في حديثنا إلى هذا العمل الذي قدَّمه في مجلدين، وقد "تناول فيه تراجم العلماء والأدباء في العصور الإسلامية جمعاء، وذيَّل كل ترجمة بمصادرها، ووصف الكتب، وميزاتها، وتاريخ طبعها، ومكانها في الشرق والغرب، وأحصى المخطوطات في مكتبات أوروبا، فجاء نموذجا في ترتيبه، وسعته ودقته، وحُسن إخراجه، كدائرة معارف للأعلام الإسلامية والعربية، والمكتبة الشرقية لمؤرخي الآداب العربية خلال الخمسين سنة الأخيرة"[1]. تكَفلت الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية بترجمته في عام (1948م) بعد موافقة صاحبه على ذلك، قُسِّم إلى ثمانية عشر جزءا ترجم منه الدكتور عبد الحليم النجار ستة أجزاء فقط قبل وفاته لتواصل المنظمة هذا العمل بتوزيع باقي الأجزاء على مجموعة من الباحثين لترجمتها.

تتجلى قيمة هذا العمل في ما قاله الدكتور عبد الحليم النجار في مقدمة ترجمته: "كان تعريب كتاب تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان أملا يراود كل قارئ بالعربية حينما يبحث في علوم العرب وآدابهم أو يحاول صبر جهود العلم العربي، ومتابعة خطواته في تأسيس ثقافة العالم الجديد، وتنمية حضارته أو يريد حصر ما تشتت وإحصاء ما تفرق من تراث الفكر العربي في مكتبات العالم، وخزائن الكتب، لِيتَّخذ من ذلك آيات بيِّنات للفخر والاعتزاز أو عُدَّة ومدادا للبعث والإحياء أو يتطلع أخيرا إلى معرفة ما ترجم إلى لغات العالم من ذلك التراث الخالد، وما أُثير حوله من بحوث وصُنِّف من دراسات قدمت خطا العلم والأدب، ودفعتهما إلى الأمام في الشرق والغرب"[2].

1 معجم أسماء المستشرقين، يحيى مراد، ص: 240.

2 تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة د. عبد الحكيم النجار، دار المعارف القاهرة، ج1، ط5، ص: 01.

3-التأليف في القرآن الكريم:

كان التأليف في القرآن الكريم عملا دأب عليه المستشرقون موزعا في عدة مجالات منها: ترجمة القرآن، وسنتناول هذا الجانب في مجال الترجمة لاحقا، تحرير مواد دائرة المعارف، كتابة الدراسات والتقارير.

أ- تحرير مواد دائرة المعارف:

القرآن أكثر المواد المحررة في الموسوعات العالمية التي كتبها المستشرقون ومنها:

- مادة ALKURAN: حررها المستشرق الانجلوفوني ويلتش، طُبعت عام (1981م/1401هـ)، ضمن المجلد الخامس من دائرة المعارف، وتُعد من أوسع ما كُتب عن القرآن في اللغات الأوروبية، قسَّمها إلى سبعة مباحث:
  - مصدر القرآن ومصطلحه.
  - تلقي محمد صلى الله عليه وسلم للوحي.
  - تاريخ القرآن بعد عصر النبوة.
  - تقسيم القرآن (بنيته).
  - ترتيب نزوله.
  - أسلوبه وموضوعاته.
  - أثره في حياة المسلمين وفكرهم"[1].

أما بالنسبة لمادة (قرآن) بدائرة المعارف الكونية الصادرة بالإنجليزية، والفرنسية فهي تتكون من ثلاث مقدمات مختلفة:

- من الرسالة القرآنية إلى الواقعة القرآنية.
- تفسير القرآن.
- القرآن والدراسات المعاصرة"[2].

---

1 الدراسات القرآنية عند المستشرقين خلال الربع الأول من القرن الخامس عشرة للهجرة، (مجلة النحو والدراسات القرآنية)، د. عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس، العدد: 06، السنة الثالثة، ص:112-113.

2 المصدر نفسه، ص: 112.

بالإضافة إلى هذا العمل قام المستشرقون ابتداءً من أواخر العقد الثاني من القرن الخامس عشر بإصدار دائرة معارف خاصة بالقرآن "DU-ENCYCLOPEDIE-CORAN"، أشرف عليها كلود جيليو، صدرت عن مكتبة بريل بليدن في هولندا باللغة الإنجليزية، لكن لم يلقى هذا الإصدار عناية به"[1].

ب-**إعداد الدراسات والتقارير:**

إضافة إلى التأليف في دائرة المعارف عَكف المستشرقون على كتابة العديد من المقالات والدراسات عن القرآن وتفسيره، تمَّ نشرها في العديد من المجلات كمجلتي "أربيكا وسوديا إسلاميكا".

- في مجال التفسير: "نشر الفرنسيون عام (1402هـ) مختصرا لتفسير الطبري، ونشر الإيطاليون على امتداد سنتين (1404هـ-1405هـ) مختارات من تفسير القرآن سهر على انتقائها وترجمتها خمسة مسيحيين، ونُشرت في مجلة المعهد البابوي للدراسات العربية"[2].
- في مجال الدراسات والمقالات:

- نشرت دار اندريه ريبان "مدخل إلى تاريخ التفسير" عام (1408هـ) في(346) صفحة بالإنجليزية ضمن سلسلة أكسفورد.
- نشرت انجيكيانوريت "مسائل نافع بن الأزرق" عام(1413هـ) في مجلة المستشرقين الألمان.
- نشرت بلندن عام (1413هـ)ضمن مجموعة دراسات بالإنجليزية "مدخل إلى القرآن" في(347) صفحة"[3].
- نشرت دانييل جيماري ضمن منشورات لوفان بباريس "قراءة المعتزلة للقرآن من خلال تفسير أبي علي الجبائي" عام (1414هـ)، في (889) صفحة.

1 الدراسات القرآنية عند المستشرقين خلال الربع الأول من القرن الخامس عشرة للهجرة ، د. عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس، ص: 114.

2 المصدر نفسه، ص: 115.

3 المصدر نفسه، ص: 116.

- سلسلة الدراسات التي نشرها أغزر المستشرقين كتابا وتأليفا في القرآن الفرنسي كلود جيليو:
  - نشأة القرآن.
  - لمحات عن التفسير والمفسرين.
  - الأكاذيب الثلاث لإبراهيم في التراث التفسيري الإسلامي.
  - إعادة بناء نقدية للقرآن الكريم.
  - مقاتل بن سليمان مفسر أثري وأصولي مُجرِّح.
  - تفسير القرآن لهود بن محكَّم الهوَّاري.

إضافة إلى رسالة الدكتوراه التي ناقشها "السلك الثالث في تفسير الطبري "ثم رسالة الدكتوراه دولة في الموضوع نفسه"[1].

V- اللغة:

من الطريف أن المستشرقين أثناء دراستهم وتعلُّمِهم للغة العربية لدافع أو لآخر سبق أن أتينا إلى ذكره لم يجدوا أنفسهم إلا وقد خَدموا اللغة العربية من خلال نشرها ووجوب تعلمها وتعليمها في أوساط الغرب، فارتقت مكانتها بين اللغات السامية الأخرى وراح المستشرقون يُؤلفون فيها مزاحمين بذلك أهلها أنفسهم، وسنحاول أن نكتفي بتقديم بعض أعلامهم في هذا المجال، أتى إلى ذكرهم المستشرق النمساوي يوسف جيرا في كتابه (تاريخ دراسة اللغة العربية بأوروبا)، ومنهم: البرت الكبير، ألماني(1193م–1270م)، بطرس المحترم (1094م–1156م)، روجر بيكن (1214م–1293م) إنجليزي، غليومبوستد (1501م–1581م) فرانس رافلج (1539م–1597م)، يوسف يوستوس سكاليجر (1540م–1609م)، توماس أربينيوس (1584م–1630م)، يعقوب جوليوس (1596م–1667م).

1 الدراسات القرآنية عند المستشرقين خلال الربع الأول من القرن الخامس عشرة للهجرة ، د. عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس ، ص: 116.

VI- الترجمة:

الترجمة هي "شرح وتفسير ما يقوله ويكتبه الآخر من لغة أخرى إلى لغة المتلقي"[1] وهي أيضًا " نقل الكلام المعبّر عنه بلغة ما إلى لغة مطلوب فهم هذا الكلام بها سواء أكان هذا الكلام شفهيًا أو مكتوبًا"[2]، ومن هذين المفهومين، ومهما تعددت المفاهيم للترجمة فإنها تعني تحويل علامات لغة إلى علامات لغة أخرى، فهي إذًا الوسيلة الوحيدة لنقل علوم قومٍ إلى قوم آخر، اختلفت لغاتهم، ولهجاتهم، وثقافاتهم، وهي بالتالي تُقدم دورًا عظيمًا في التطور الثقافي للإنسانية، لذلك كان اهتمام المستشرقين بها كبيرًا، ولمَّا كان الاهتمام البالغ بها كان لابد من ترك البصمة في هذا المجال، "فقد كان للمستشرقين دورا بارزا في إذكاء روح الترجمة، وإقامة العلاقات بين الشرق والغرب، من خلال الحروب الصليبية (1096م-1184م)، والطرق التجارية عبر صقلية والفتح الإسلامي للأندلس (92هـ/897م)، واِمتداد الدولة العثمانية"[3].

أما عن بداية حركة الترجمة، "فكان أول وأهم عمل هائل في مجال الترجمة من العربية حظوظًا له الوقت والجهد هو القرآن الكريم"[4] ثم المؤلفات الأدبية، والتاريخية والعلمية ثم ترجمة الموسوعات، والمدونات الفقهية والفلسفية، واللغوية.

1-ترجمة معاني القرآن الكريم:

القرآن الكريم مُعجزة الله في خلقه، ويتجلى هذا الإعجاز في لغته التي هي لغة من نزل عليهم، فلم يستطع أحد من أرباب البيان، وأحبار اللغة العربية نثرها، وشعرها أن يأتوا بمثله، كلّه أو بعضه، فكيف إذًا نتوقع أن يُنقل القرآن إلى لغة أخرى، وإذا كانت الترجمة

---

1 الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية، سالم العيسى، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د ط، 1999م، ص: 06.

2 المصدر نفسه، ص: 03.

3 دور المستشرقين الفرنسيين في نقل الثقافة العربية إلى الغرب، د. عبد الرؤوف خريوش
http://schoiar.najah.edu/…/role-french-orieniealists-trasmitti

4 الترجمة الأدبية من العربية عند المستشرقين، أندلوسي محمد، ص: 23.

هي الوسيلة الوحيدة لِنقله تفقد إن لم يكن الكثير فالقليل من معاني النص المُترجم، فما بالنا بالقران، وهنا يكمن المُحال، ويقع المُترجم في التحريف، وخروجه عن المعاني الحقيقية التي جاء بِها، لذا أجمع علماء المسلمين أن ترجمة القرآن لا تجوز وإن جازت فبشروط، لذا فإن الحديث عن ترجمة معاني القرآن عند المستشرقين يَشُوبها العديد من الأخطاء، قَلَّت أم كَثُرت، سواء بنية أو بغير نية، وذلك لأسباب عديدة كانتمائهم الديني مثلاً، وجهلهم لحقيقة القرآن واللغة التي نزل بِها في حد ذاتها، ومع ذلك سنحاول أن نتطرق إلى بعضٍ مما أسهم بِه المستشرقون في ترجمة معاني القرآن الكريم لا لشيء سوى لِنُبين أن هؤلاء لم يتركوا شيئًا يخص العرب والمسلمين إلا وطرقوه حتى وإن كانت مقدساتهم.

كان اهتمام المستشرقين بالقرآن الكريم، ومعرفة معانيه منذ أن انبهروا بحضارة العرب والمسلمين، كيف لا وهو سبب تحضرهم، وخروجهم من بؤرة الجهل، والتخلف ويُذكر "أن القرآن قد تمت ترجمته لأول مرة في القرن الثاني عشر. وقد قام المستشرقون منذ ذلك الوقت وحتى الآن بإعداد العديد من ترجمات القرآن إلى اللغات الأوروبية كافة"[1] إلا أن حركة الاستشراق شهدت منذ نهاية القرن التاسع عشر اهتمامًا متزايدًا بدراسة القرآن الكريم"، وقد تزامن هذا الاهتمام مع ظهور مدرسة نقد الكتب المقدسة في الفكر الغربي الحديث، الذي كان رموزها المستشرقان اسبينوزا وريتان "[2].

والآن نلقي الضوء على بعض الترجمات التي قام بها المستشرقون، فها هو آرثر جون اربري[*]، الذي عُني بترجمة القرآن الكريم، وأصدر في أوائل الخمسينيات ترجمة

1 الاستشراق والخلفية الفكرية، د.محمود حمدي زقزوق، ص: 66.

2 الفهم الاستشراقي لتفسير القرآن الكريم (رسالة ماجستير)، عادل ماجد محمد، إشراف: د. شارحير الأعرجي، جامعة الكوفة (1428هـ/2007م)، ص: 39.

* مستشرق إنجليزي ولد سنة (1905م)، دخل كلية بمبروك بجامعة كمبردج سنة (1924م)، كان متفوقا في الدراسات الشرقية، عين بكلية الآداب بجامعة القاهرة، رئيسا لقسم الدراسات القديمة (اليوناني واللاتيني)، نشر كتاب (الباب المنسوب لأرسطو) في مجلة كلية الآداب، نشر في 1933م، ترجمة (مسرحية مجنون ليلى)، إلى الإنجليزية، آثاره: سبت

لمختارات من آيات القرآن الكريم، صدَّرها بمقدمة طويلة، وكان عنوان هذه المختارات (القرآن المقدس The Holy coran)، نُشرت في المجلد التاسع من سلسلة (الكلاسيكيات الأخلاقية والدينية للشرق والغرب) التي كان يشرف هو عليها منذ عام(1950م)، كما أصدر في نفس السنة ترجمة كاملة لمعاني القرآن الكريم في مجلدين ثم مجلد واحد بالقطع الصغير عنوانه (The coran interpreted القرآن مفسرًا وترجمة تفسيرية للقرآن)، كما لا يفوتنا أن نُنوه بالعمل الذي قدَّمه المستشرق الألماني "فلوجل" الذي وضع معجم مفهرس لألفاظ القرآن كان له الأثر البالغ في أعمال الباحثين في الشرق والغرب.

وتُعدُّ ترجمة المستشرق الفرنسي" جاك بيرك" من أشهر الترجمات، فقد حظيت باهتمام عربي وغربي، صدرت هذه الترجمة عام (1990م/1413هـ) تحت عنوان (القرآن: محاولة ترجمة من العربية مع تقديم دراسة عن التفسير) في ثمانمائة وثلاثين صفحة، وأُعيد طبعها بعد أربع سنوات، وهذه الترجمة تقع في قسمين: الأول ما سُمِّي (محاولة ترجمة القرآن)، والباقي مقدمة في اثنين وثمانين صفحة، قِسمها الأول مقدمة بعنوان Relire le (Coran)، أي إعادة تفسير القرآن، أما القسم الثاني وهو (محاولة ترجمة القرآن)، وهو حافل بالأخطاء"[1]، دون أن ننسى المستشرق الألماني رودي باريت في كتابه (ترجمة القرآن)، والمستشرق موخوليسكي (1808م–1877م) الذي قام بترجمة وتفسير القرآن إلى اللغة البيلاروسية، والبولندية، والقائمة طويلة لا نستطيع حصرها.

رغم كل هذه الأعمال التي قدَّمها المستشرقون في هذا المجال لم تشفع لهم عند العرب والمسلمين، ولم يستطيعوا جلبهم إليهم، "ولا يزال القرآن على الرغم من وجود

تكميلي للمخطوطات الإسلامية في كامبردج (1952م)، تحقيق كتاب الرياضة للحكيم الترمذي، ترجمة المفسر للقرآن، تحت عنوان The coran Interpreted في مجلدين...، توفي سنة (1966م).

1 الدراسات القرآنية عند المستشرقين خلال الربع الأول من القرن الخامس عشرة للهجرة، د. عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس، ص:110-111.

الترجمات الكثيرة إلى الآن يُقرأُ بلغته الأصلية في كل بلاد المعمورة في الجامع والجامعة ولا يزال النص العربي للقرآن هو الأصل الذي يرجع إليه عند الاختلاف"[1].

2-ترجمة الأعمال الأدبية والعلمية:

قام المستشرقون بترجمة أعمالا أدبية وعلمية لا يمكن عدّها ولا حصرها، وما هذه الأعمال التي نذكرها إلا عينة فقط:

- آرثر آربري (1905م-1969م): مستشرق إنجليزي، ترجمة (زنبقة سينا) لمحمد اقبال الشاعر الهندي الكبير، (مزامير فارسية)، وأسرار بيخوري (أسرار اللذات) 1953م، (جاويد نانه) 1966م، لنفس الشاعر، ترجمته للمخطوطات (رباعيات الخيام) 1951م، كما عثر على مخطوط آخر (رباعيات الخيام) وترجمه سنة 1952م.
- انطوان جالان (1646م-1715م): ترجمة (ابن المكني) لهربلو1697م و(أصل القهوة وتطورها) 1699م-1836م، وهو أول مترجم لألف ليلة وليلة و(أمثال لقمان) 1704م-1708م.
- السير وليم جونز (1746م-1794م)، إنجليزي[2]: ترجمة (تاريخ نادري) لمحمد مهدي خان من الفارسية إلى الفرنسية، لندن 1773م، وتعليقات على الشعر الآسيوي، وجلّه مختارات من الأدبين العربي والفارسي في ستة مجلدات عام 1774م و(أخلاق العرب قبل عصر محمد)، نقلا عن المعلقات، لندن 1780م و(المعلقات السبع) متنًا، وترجمة في (170) صفحة، لندن 1783م، و(مجنون ليلى) لهانقي بالفارسية، كلكتا 1788م، وترجمة (شاكونتا لاكاليداسا)، وهي مأساة باللغة السنسكريتية، كلكتا 1798م، و(السرابية في علم الفرائض والموازين الإسلامية) لسراج

1 القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، أ.د. محمَّد محمد أبو ليلى، دار النشر للجامعات، مصر، (1413هـ/2002م) ص: 361.

2 أخذ العربية والفارسية عن حلبي كان بأكسفورد، كان من كبار الشعراء والمحامين والقضاة والرياضيين، تخرج من أكسفورد، حصل على درجة الزمالة في الكلية الجامعية، عين قاضيا في المحكمة العليا بلكتا، أسس الجمعية الآسيوية للبنغال، عُدُّ أباً للدراسة الهندية في أوروبا.

الدين السجاوندي، كلكتا 1792م، وأشرف على ترجمة(شرائع الإسلام) للحلي و(تحرير الأحكام)لابن المطهر، وقد نقلها من العربية وعلَّق عليها النقيب ج.بيلي فوقعا في أربعة أجزاء، كلكتا 1805م.

هذا باختصار حديث عن تلك الأعمال والمجهودات التي قدَّمها المستشرقون في مجال الترجمة، سواء كانت ترجمة من العربية إلى لغات أوروبية أو فارسية أو لغات أخرى المُهم أنَّها تَمس التراث الإسلامي عامة، لذا فمن واجبنا احترام وتقدير هذه الأعمال وأصحابها، وإقرارنا لهم بالفضل، ولَربما سبقنا إلى ذلك العلامة مالك بن نبي في قوله: "قد اكتشفت وأنا بين الخامسة عشر والعشرين من العمر أمجاد الحضارة الإسلامية في ترجمة دوسلان لمقدمة ابن خلدون، وفيما كتب دوزي عنها وأحمد رضا بعد الحرب العالمية الأولى"[1].

VII- **النقد:**

يبدو أن أثر الاستشراق في النقد الحديث كان بيِّنًا لا غبار عليه، إلى حد الاعتراف به صراحة من قِبل الباحثين، فهاهو طه حسين سقراط العرب يُفنِّد هذا باعترافه قائلاً: "إنَّ ألوانا من الدروس لم أعرفها من قبل، وإذا فنون النقد لم يكن لي بها عهد، وإذا دارس الأدب لنفسه ينبغي أن يدرس جيده ورديئة، وأن يُتقن غثَّه وسمينه على السواء من غير تفاوت ولا تفريق، وإذا الباحث عن تاريخ الآداب ليس عليه أن يتقن علوم اللغة وآدابها فحسب، بل لا بد له أن يلم إلماما بعلوم الفلسفة والدين، ولا بد له أن يدرس التاريخ وتقويم البلدان درسا مفصلا، وإذا الباحث عن تاريخ الآداب لا يكفيه من درس اللغة حسن البحث عما في القاموس واللسان وما في المخصص والمحكم، وما في التكملة والعباب، بل لا بد له مع ذلك أن يدرس أصول اللغة القديمة ومصادرها الأولى وإذا الباحث عن تاريخ الآداب لا بد له من أن يدرس علم النفس للأفراد والجماعات إذا أراد أن يتقن الفهم لما ترك الكاتب أو الشاعر من الآثار وإذا اللغة العربية وحدها لا تكفي لمن أراد أن يكون أديبا ومؤرخا

1 إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الاسلامي، مالك بن نبي، دار الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت، ط1 (1388هـ/1969م)، ص: 12.

للآداب حقا، إذ لابد له من درس الآداب الحديثة في أوروبا، ودرس مناهج البحث عند الفرنج، وما كتب الأساتذة الأوربيون في لغاتهم المختلفة عما للعرب من أدب وفلسفة، ومن حضارة ودين، كل هذه عقبات ظهرت لي حين سمعت دروس الأساتذة المستشرقين في الجامعة ولست أزعم أني وفقت إلى تذليلها ورياضتها كافة، وإنما أقول أنها قد غيرت رأيي في الأدب ومذهبي في النقد التغيير كله فلم يبق من هذه الآثار الحِسان التي تركها الأستاذ المرصفي في تلك النفس الناشئة إلا دقة النقد اللفظي، والحرص على إيثار الكلام وإذا امتاز بمتانة اللفظ ورصانة الأسلوب... والمذهب الذي أحدثته الجامعة في درس الآداب العربية بمصر نافع النفع كله لاستخراج نوع من العلم لم يكن لنا به عهد مع شدة الحاجة إليه. وهو تأريخ الآداب تأريخا يمكننا من فهم الأمة العربية خاصة، والأمة الإسلامية عامة فهما صحيحا، خط الصواب فيه أكثر من خط الخطأ، ونَصيب الوضوح فيه أوفر من نصيب الغموض...ولست أزعم أننا لسنا في حاجة إلى درس الآداب على المنهج الحديث لِنُحسن استنباط التاريخ الأدبي من هذه الآثار. ولقد كانت طريقة الجامعة مع درس الآداب منذ سنين أدنى إلى تحقيق هذه الحاجة وأوفي بها حين جعلت للآداب درسا خاصا ولتأريخها درسا خاصا، فكان أستاذ الآداب يعني شرح النظم والنثر، وبيان دقائقها وإظهار ما فيها من أسرار البلاغة والدلالة على ما يشتملان عليه من عيب. وفي ذلك من تقويم الملكات وتقويم الألسنة، وإصلاح الذوق الأدبي ما نحن في حاجة إليه. وكان أستاذ تاريخ الآداب يتخذ ما ترك العرب لنا من الشعر والنثر مرآة يتبين فيها حياة الأمة في دينها وعلمها وسياستها، وفي ذوقها الأدبي والفني، وفيما لها من حياة اجتماعية واقتصادية فيفيدنا بذلك فائدتين: يعلمنا مناهج البحث من جهة ويمثل روح الأمة في أطوارها المختلفة من جهة أخرى"[1].

يمكننا أن نستخلص نقاطا عديدة ضمَّنها (طه حسين) في قوله هذا، ومنها:

- أولا: أنه اعتمد على المنهج كما اعتمد على الذوق في دراسة تاريخ الأدب العربي ونقده كذلك.
- ثانيا: أنه أحدث انقلابا شاملا في دراسة الأدب العربي ونقده حينذاك.

1 تجديد ذكرى أبي علاء المعري، د. طه حسين، دار المعارف، مصر، ط6،1963، ص: 6-9.

- ثالثا: أنه وجَّه باحثي الأدب العربي إلى نظرة شمولية لهذا الأدب نقده.
- رابعا: أنَّه أكَّد أن باحث الأدب العربي يمكنه أن يستنبط صورة دقيقة عن المجتمع العربي الإسلامي من الأدب الذي يدرسه وينتقده.
- خامسا: أنه أثبت أن دارس الأدب العربي لا بد أن يكون مُلِما بعلوم أخرى قبل أن يشرع في دراسة هذا الأدب ونقده"[1].

VIII- مناهج المستشرقين:

المنهج طريق يسلكه الباحث ليصل إلى حقيقة معينة، له مفاهيم عديدة، لعل أوجزها وأوضحها " فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة من أجل الكشف عن الحقيقة"[2]، ويرتبط تقدم البحث العلمي وتحصيل المعرفة لضرورة وجود منهج للبحث والتحصيل"[3]، وقد يختلف المنهج تِبعا للمادة العلمية المدروسة،" فالباحث صاحب منهج معين تحدده عوامل تتصل بطبيعة المادة المدروسة"[4]، هذا عن مفهوم من تلك المفاهيم التي قدَّمها الباحثون والعلماء للمنهج، ولَرُبما قد يتفق كلهم في كونها "وسائل وطرائق تسعى إلى غايتها، وينبغي على الباحث الذي يقضي مسيرته في البحث عن الحقيقة أن يُلم بتلك الطرق ليعرف أيها الأقصر والأيسر، وليست الطريقة هي المهمة، بل ما تؤدي إليه فإنْ رأى مثلا أن ما قطعه في منهج من المناهج أسلمه إلى عقبة تستلزم منه أن يسير على هدى منهج آخر كان عليه أن يُغيّر"[5]، هذا حديث مختصر عن المنهج.

نحن في حديثنا عن المناهج ننوي التطرق إلى تلك المناهج التي سلكها المستشرقون، وطبقوها على اللغة العربية، وقبل هذا يجب أن لا تغيب عنّا فكرة وجب استحضارها كل ما أردنا الاطلاع على أعمال المستشرقين، فالمستشرقون مهما أرادو التعايش والتغلغل في حياتنا يبقون على صِلة بأمتهم الأصلية، وهذا طبع الإنسان لا يستغني عنه بسهولة، فالإنسان ابن بيئته، يضل كائنا اجتماعيا ينتمي إليها يتأثر بظروفها

---

1 فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، د. أحمد سمايلوفيتش، ص: 600.

2 البحث اللغوي عند المستشرقين الألمان، عبد الحسن عباس حسن الجمل الزويني، ص: 195.

3 المصدر نفسه، ص: 195.

4 المصدر نفسه، ص: 195.

5 المستشرقون والمناهج اللغوية، د. إسماعيل أحمد عمايرة، دار حنين، عمان، الأردن، ط2، (1992م)، ص: 8.

وعاداتها ، وتقاليد، وإن تميز عن غير هـ بعض الشيء، وانطلاقا من هذا لا يجب أن نَغتَرَّ بكل ما قدمه هؤلاء من أعمال، ولا ضير في أخذ بعض من الحذر، إذ وجب علينا التمحيص والتمعن فيها، وبغض النظر عن بعض الآراء التي تنفي ما قلناه، ولربما كان هدفها علميا حقا.

يقول رودي بارت*: " ...فنحن معشر المستشرقين، عندما نقوم اليوم بدراسات في العلوم العربية والعلوم الإسلامية لا نقوم بها فقط لكي نبرهن على صنعة العالم العربي الإسلامي، بل على العكس نحن نبرهن على تقديرنا الخاص للعالم الذي يمثله الإسلام ومظاهره المختلفة والذي عبر عنه الأدب العربي كتابة، ونحن بطبيعة الحال لا نأخذ كل شيء ترويه المصادر على عواهنه دون أن نمعن فيه النظر، بل نقيم وزنا فحسب لما يثبت أمام النقد التاريخي أو يبدوا وكأنه يثبت أمامه، ونحن في هذا نطبق على الإسلام وتاريخه وعلى المؤلفات العربية التي نشتغل بها المعيار النقدي نفسه الذي نطبقه على تاريخ الفكر عندنا وعلى المصادر المدونة لعالمنا نحن"[1].

لِندع هذا جانبا دون إغفاله، لأنه لو فتحنا باب الآراء من كلا الطرفين فإنه لن يقفل أبدا، ولنحاول الحديث عن المناهج التي اتبعها المستشرقون في أعمالهم، ولْنبحث في الجانب الذي استفادت منه علومنا الإسلامية والعربية، يقول الدكتور الحسن الخربوطي: "ومن محاسن المستشرقين إدخال المنهج العلمي على دراساتنا الإسلامية والعربية، وهذا المنهج قائم على الإحاطة، والموازنة، والترتيب، والاستنباط لبلوغ الحقيقة، وقد طبقه المستشرقون على علومنا، وآدابنا، وفنوننا تطبيقا صحيحا...، وبما أنَّهم دخلاء على التراث المشرقي فقد اصطنعوا التمحيص والدقة فيه، لعلمهم بأن الأخطاء الفاحشة والتحريف والتضليل تنال من أقدارهم في أعين الشرقيين"[2].

* مستشرق ألماني ولد سنة (1901م)، شغل كرسي علوم الإسلام والساميات في جامعة بون، وعين سنة (1951م) أستاذا للساميات والإسلاميات في جامعة توبنجن، آثاره: ترجمة القرآن إلى اللغة الألمانية في مجلد، والتعليق على الترجمة في مجلد آخر، رسائل صغيرة عن القرآن منها: محمد والقرآن... توفي سنة (1983م).

1 الاستشراق والخلفية الفكرية، د. محمود حمدي زقزوق، ص: 81.

2 المستشرقون والتاريخ الإسلامي، د. حسن الخربوطلي، ص: 124.

أما عن المناهج التي سار عليها المستشرقون في دراسة العربية، فقد عدّها الدكتور إسماعيل أحمد عمايرة، وتحدث عنها بإسهاب في كتابه (المستشرقون والمناهج اللغوية)، وهي: المنهج التاريخي، المنهج المقارن، المنهج الوصفي، المنهج الإحصائي وتُعد هذه المناهج التي سلكها المستشرقون وهم يدرسون العربية نفسها التي اُعتمدت في اللغات الأوروبية، وكانت انطلاقا من تلك الحركة العلمية والفكرية في بلدانهم" فالمستشرقون وهم يدرسون العربية ينطلقون في الغالب من المناهج التي تدرس بها لغاتهم أو من خلال تأثرهم الكبير بتلك المناهج"[1]، لذا لا عَجَب في ظهور بعض من أفكارهم على أعمالهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن تعدد دراسات المستشرقين على تراثنا العربي والإسلامي يُحتِّم عليهم اعتماد العديد من المناهج، يقول ساسي سالم الحاج: "أما من حيث المنهجية التي اتبعها المستشرقون في دراسة التراث فلم تقتصر على المنهج التاريخي، بل شملت المنهج التحليلي، والمنهج الاسقاطي، ومنهج الأثر والتأثر، ومنهج المطابقة والمقابلة، وقد تجتمع هذه المناهج في دراسة واحدة أو عند مستشرق بعينه، وقد تفترق"[2]، وانطلاقا من هذا سنحاول أن نتطرق إلى أبرز المناهج التي سلكها المستشرقون في دراساتهم على اللغة العربية.

1- المنهج التاريخي:

لم تحظى اللغة العربية بدراسات وفق المنهج التاريخي، "فقد تركزت جهود اللغويين على دراسة اللغة إلى عصر الاحتجاج اللغوي، أي من العصر الجاهلي مرورا بصدر الإسلام وانتهاءً بحوالي 150هـ، ويقدر هذا بثلاثمائة عام تقريبا"[3]، وقد كان هذا سبب رغبة علمائنا القدماء في الحِفاظ على تلك الصورة التي ترتبط بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وسيرة السلف الصالح من المسلمين، لكن هذه الرؤية قد تتعارض مع فكرة التطور الدلالي للكلمات، والأساليب عبر العصور، فالعربية إذًا في حاجة إلى هذا المنهج، ويكفينا حديثا عن هذا المنهج تلك الآراء التي طرحها المستشرقون كدوزي وفيشر مُجسدة في عمليهما الضخمين "المعجم اللغوي التاريخي" و"تكملة المعاجم العربية".

1 المستشرقون والمناهج اللغوية، د. إسماعيل أحمد عمايرة، ص: 15.

2 نقلا عن إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي، د. علي بن إبراهيم النملة، ص: 35.

3 المستشرقون والمناهج اللغوية، د. إسماعيل أحمد عمايرة، ص: 24.

2- المنهج المقارن:

لم يعتمد العرب القدامى المنهج المقارن في دراساتهم، لأنهم كانوا يرون أن العربية ذات صلة قوية بلغات أخرى كالعبرية، والسريانية، باستثناء بعض الإشارات التي أشار إليها سيبويه، والفارسي، وغيرهم عكس الذين أولوه اهتماما كبيرا، لأنه المنهج الوحيد للدراسات المقارنة، وهو ما يُميز الدراسات الاستشراقية، لذا عكف باحثوهم على الاستعانة به حتى "يمكنهم من المقارنة المتعمقة التي تستهدف لغويا كشف العلاقة بين لغة وأخرى، ومعرفة ما إذا كانت اللغات الإنسانية ترجع إلى أصل واحد وهل تربطها قواعد عامة؟، وكيف تطورت وانفصلت؟،وكيف يمكن أن يُفسر ذلك التطور؟، وما موقع اللغات الأوربية؟ وبالتالي الأعراق الأوروبية من اللغات الأخرى، والأجناس الأخرى؟"[1].

3- المنهج الإحصائي:

ساعد المنهج الإحصائي المستشرقون في دراساتهم القائمة على الإحصاء، إذ به تم إحصاء الكثير من المفردات الشائعة ثم أكثر التراكيب النحوية شيوعا، إلا أن الإحصاء قد يختلف من مستشرق لآخر ذلك حسب المستشرق، والمجال الذي يعالجه "وقد دأب علماء اللغة الأوروبيون على حصر مفردات لغاتهم ودلالات هذه المفردات وتراكيب كل لغة، وأخذوا يوزعون نتائج هذه الدراسات الإحصائية على معجماتهم اللغوية، فهذا معجم يحتوي على خمسة آلاف لفظة شائعة، وذاك يحتوي على عشرة آلاف لفظة تتضمن الخمسة آلاف السابقة، وهكذا تتطور المعاجم من خلال تدرجها في الاستيعاب، إلى أن يصل المرء إلى موسوعات لغوية تسجل كل شاردة وواردة"[2].

لقد كان لهذا التطور انعكاسا إيجابيا على أغلب باحثينا، فكثير منهم راح يسلكه.

4- المنهج الوصفي:

يتميز المنهج الوصفي بدراسة الظاهرة اللغوية كما هي دون اللجوء إلى دراستها حسب التطور الزمني، وانطلاقا من هذا كانت دراسة المستشرقين للغة من جانب نُطقها عكس أولئك الدارسين لها من حيث تطورها الزمني، وقد كانت هذه النظرة سبب عزوف الوصفيين منهم عن دراسة اللغات كاليونانية القديمة، واللاتينية، والسنسكريتية بل انكبوا

1 المستشرقون والمناهج اللغوية، د. إسماعيل أحمد عمايرة، ص: 48.

2 المصدر نفسه، ص: 123.

على دراسة اللغات الحية، هذا ما جعلهم يدرسون العربية الفصحى على صعيدين: الفصحى القديمة ويسمونها العربية الكلاسيكية، والفصحى المعاصرة، وهي تسمية أطلقوها على العربية التي يتواصل بها الناطقين حديثا، والتي تحظى بمكانة لديهم، ومن مميزات هذا المنهج أيضا الاهتمام بالنحو التعليمي، فأصحاب هذا المنهج قريبو النتائج، وأعمالهم ذات فائدة في مجال التعليم أكثر من أصحاب المنهج التاريخي "لذا فقد عمدت الدراسات التعليمية على إثبات المنهج الوصفي في وضع الكتب العلمية"[1].

IX- الصناعة المعجمية:

للمستشرقين نشاط واضح في مجال الصناعة المعجمية أثروا به صناعة المعجم العربي من خلال تلك المناهج المختلفة التي اعتمدوها لذلك، ووفق أسس ارتكزوا عليها إلا أن هذا لا يلغي فكرة أن العرب كانوا السباقون لهذا المجال من غيرهم، يقول هيفود: "الحقيقة أن العرب في مجال المعاجم يحتلون مكان المركز سواء في الزمان أو المكان بالنسبة للعالم القديم، والحديث بالنسبة للشرق والغرب"[2]. ويعود ظهور أول معجم صنعه المستشرقون إلى القرن السادس عشر، "فأول معجم نسمع عنه ألفه رافانج في القرن السادس عشر، وطُبع بعد وفاته في أوائل القرن التاسع عشر عام (1813م)ثم أعيد طبعه مرارا ثم وضع بدويل (1561م-1634م) معجما عربيا في سبعة مجلدات لم يطبع"[3] ووضع جوليوس (1596م-1667م)،وهو مستشرق هولندي معجمه الذي طُبع بليدن عام (1953م) مستعينا في عمله هذا بمعاجم عربية ممتازة منها "الصحاح" للجوهري، "القاموس المحيط" للفيروز أبادي، "أساس البلاغة" للزمخشري، "مجمل اللغة" لابن فارس، وكتاب "المعرَّب" للجواليقي، إضافة إلى بعض القواميس العربية-الفارسية"[4]إلى أن وضع المستشرق كاستل إدموند (1606م-1685م) معجمه "مجمل معجم اللغات السامية"، طُبع ونشر بلندن عام (1669م) ثم تعددت طباعته في إنجلترا وأوروبا، هذا عن البدايات الأولى في صناعة المعجم العربي عند المستشرقين باختصار وفيما يلي طائفة ممن ساروا على نهج

1 المستشرقون والمناهج اللغوية، د. إسماعيل أحمد عمايرة ، ص: 96.

2 فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، د. أحمد سمايلوفيتش، ص: 572.

3 المصدر نفسه، ص: 573.

4 المصدر نفسه، ص: 573.

أسلافهم من المستشرقين في الجد والعمل محاولين التجديد في أعمالهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

(المعجم العربي-اللاتيني) جورج فلهام فرايتاج*: (1788م-1861)، (مد القاموس) للمستشرق الإنجليزي ادوارد لين (1801م - 1876م) الذي أمضى ربع قرن في تأليفه"، ومما هو لافت للنظر أن أول المعاجم العربية المؤلفة في العصر الحديث وهو معجم (محيط المحيط) لبطرس بن بولس قد اعتمد اعتمادا كليا في شرحه لكثير من مواده على معجم لين (مد القاموس)"[1].

دون أن ننسى كل من أوجست فيشر (1865م-1949م) في عمله الضخم (المعجم اللغوي التاريخي)، ورينهارت دوزي (1820م-1883م) في "المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب"، و"تكملة المعاجم العربية".

1-أسس الصناعة المعجمية:

سبق وأن أشرنا إلى ذكر أشهر المستشرقين الذين كانت لهم بصمة في صناعة المعجم العربي منذ بدايتها الأولى إلى غاية العصر الحديث، كما سبق وأن ذكرنا أن المستشرقين ارتكزوا على مجموعة من الأسس في صناعة المعجم العربي، والتي لا تختلف في مجملها عن تلك الأسس التي سار وفقها العرب في صناعة معاجمهم.

---

* جورج فلهام فرايتاج، مستشرق ألماني، ولد سنة (1788م)، بدأ دراسة اللغة العربية في ألمانيا ثم التحق بمدرسة الدراسات الشرقية الحية في باريس على يد المستشرق الفرنسي المشهور سيلفستر دي ساسي، عين أستاذا للغات الشرقية بجامعة بون، آثاره: القاموس العربي اللاتيني في أربعة أجزاء، كما اهتم بالشعر العربي وبخاصة المعلقات وحقق نشر بعض الشعر الإسلامي، شارك في نشر كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي، توفي سنة (1861م).

1 من واقع تجارب طلاب الدراسات العربية والإسلامية في الغرب "بريطانيا نموذجا"، أ.د.سمير الدروبي، أ.د. جهاد المجالي، (بحث)، جامعة المير سونجاكلا فرع فطاني، جنوب تايلاندا، ص: 10.
www.deepsouthwatch.org/sites

أ- **الأساس الأول:** مادة المعجم.

إنَّ الاختلاف الذي كان سائدا عند المستشرقين اتجاه اللغة انعكس على أعمالهم المعجمية من حيث المادة المعجمية التي اعتمدوها، لنميز في النهاية فريقين، فريق سار على نهج المعجميين القدماء من العرب فاكتفى بفصيح اللغة، وترجم ما في معاجمهم ومنهم من شغلته نظرية أن اللغة كائن حي يتجدد باستمرار، ومما يميز رأي الفريق الثاني هو عدم اعتماد اللغة الفصيحة شرطا لعملهم، فلا عجب إذا وجد المتتبع في مادتهم ألفاظا عامية أو مولدة أو دخيلة، فهم بذلك يفتحون المجال واسعا لاحتواء كل ما صادفوه من ألفاظ أثناء جمعهم للمادة، وممن ذهب إلى هذا الرأي رينهارت دوزي الذي يرى أن اللغة الفصحى قد ذهب زمانها، فلم تعش سوى قرنين من الزمن "لذلك وجب تدوين المولَّد والمستحدث من الألفاظ والعبارات والدلالات الجديدة التي طرأت على الألفاظ القديمة في مختلف الأمصار الإسلامية، وفي مختلف العصور"[1].

لكن ألا يبدوا هذا الرأي بمثابة هجمة مسعورة على العربية الفصحى التي هي لغة القرآن الكريم والحديث الشريف، وهذا ما أبداه المستشرق ادوارد لين (1801م-1876م) "وهو رد مفحم على المستشرقين الذين توجهوا إلى دراسة العامية وإلى الكتابة بها وتعلمها وذلك محاربة للفصحى، لغة القرآن الكريم، فيقول: لا فرق كبير في الواقع بين اللهجة الأدبية وتلك الدارجة في اللغة العربية كما تصور ذلك بعض المستشرقين الأوروبيين"[2].

إن رؤيتهم هذه للغة كانت انطلاقا من فكرة أشرنا إليها من قبل، أي أن اللغة تتطور عبر العصور، وهو قياس اعتمدوه في لغاتهم الأوروبية التي قسموها إلى عصور، "فقاسوا العربية على لغاتهم، فقسموها إلى مراحل بناءً على تقسيمهم العصور التي مرت بها ودرسوا تلك المراحل وخصائصها، فمنهم من خص أحد عصورها بالدراسة أو الجمع، مثل دوزي في (تكملة المعاجم العربية)، حيث سعى إلى أن يكون معجما للعصور الوسطى"[3].

1 دراسات في المعجم العربي، إبراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1 (1987م)، ص203.

2 من واقع تجارب طلاب الدراسات العربية والإسلامية في الغرب – بريطانيا نموذجا –د. سمير الدروبي، د. جهاد المحالي، ص: 09.

3 مناهج المستشرقين في الصناعة المعجمية، عبد العزيز الحمد (بحث)، ص: 29.

لو أردنا مناقشة ما جاء به مستشرقو العصر الحديث حول تقسيم اللغة إلى عصور لاصطدمنا بنقطة قد تُضعف من قوة طرحهم هذا، وهي عدم الاتفاق فيما بينهم حول قضيتهم، فها هو فيشر في مناقشات دارت في المجمع حول المولّد، واختلاف الآراء حول تحديد عصره قال: "أرى أن هناك خلافا في تحديد زمن المولّدين ونحن في أوروبا نرى بأن زمن المولدين يبتدئ من دولة العباس وكلام أهل العصر العباسي لا يُحتج به، أما المستشرق الألماني فولت ديتسرش فيشر، فقسم عصور العربية إلى ما يلي:

- ما قبل الكلاسيكية: المرحلة التي كانت قبل التأثر بالنظام المدرسي للنحاة العرب وذهب إلى أن اللغة في هذه المرحلة تختلف بعض الاختلاف عن المرحلة الكلاسيكية.
- العربية الكلاسيكية: وعصرها في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، وفيها توافق المعيار النحوي المدرسي والتحقق الأدبي، حيث بلغت مرحلة التعقيد نهايتها. وأصبح لتلك المعايير قوة في معرفة ما يستحسن وما لا يستحسن في التراكيب، وذكر اسما آخر لها هو (اللغة الفصحى)، أما كلمة فصيح فكانت فيما قبل تعني الناطق بالعربية على العكس من الأعجمي، وذهب إلى أن الكلاسيكية تطلق على اللغة الملتزمة بالمعيار المدرسي التعليمي حتى وإن كانت في العصر الحديث، فمصطلح الكلاسيكية يُنظر إليه على أنه إشارة إلى واقع اجتماعي لغوي لا على أنه مصطلح دال على تاريخ اللغة.
- ما بعد الكلاسيكية: ولم يحددها بزمن معين، ولم يذكر خصائصها، ولكنه عنى بها العربية بعد أن انقسمت إلى لهجات، لكنه أشار إلى مرحلة خاصة هي (العربية المتوسطة)، وأراد بها مرحلة بين الفصحى والعامية كانت في العصور الوسطى وكانت النمط الرائج للعربية المكتوبة والمتداولة بين اليهود والنصارى خاصة"[1].

ب- **الأساس الثاني:** المداخل

بعد أن كُنَّا قد رأينا أول أسس الصناعة المعجمية عند المستشرقين -مادة المعجم- سوف نتطرق إلى ثاني هذه الأسس، والذي يُعد عنصرا أساسيا في صناعته، إلا أنَّه قد يختلف من معجمٍ لآخر غالبا، ونقصد بِه المداخل.

---

1 بحوث في الاستشراق واللغة، د. إسماعيل أحمد عمايرة، دار النشر عمان، الأردن، ط1 (1417هـ -1996م) ص: 431-436.

- مداخل المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي: جعل واضعو المعجم، المواد الأصلية مجردة من الزوائد مداخل له.
- مداخل المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب: جعل أسماء الملابس مداخل لمعجمه دون تجريدها من الزوائد، وجنَّبه فعله هذا الأخطاء التي وقع فيها في (التكملة)، ومن تلك المداخل: المئزر، المئزرة، المئزار، وهكذا بقية أسماء الملابس.
- مداخل المعجم اللغوي التاريخي (فيشر): لم يخرج فيشر في بناء معجمه عن طريقة المعجميين في ذلك، إذ فرَّق بين الكلمات العربية والأعجمية، فجعل المدخل الرئيسي في الكلمات العربية المادة الأصلية مجردة، ووضع تحتها مشتقاتها.

جعل لكل كلمة أعجمية مدخلا خاصا، حيث أوردها في مواضعها، على صورتها التي هي عليها دون أن يعيدها إلى أصل عربي، إلا إذا تصرفت بها العرب. قال في مقدمته: "والكلمات الأعجمية المعربة الزائدة على ثلاثة أحرف تتبع الكلمات العربية في ترتيب المعجم إن تصرف فيها العرب بالاشتقاق، مثل: إبريق، دكان، برق أسوار سراويل أما ما لم يتصرف فيه العرب بالاشتقاق فتعتبر حروفه كلها أصلية مثل: إبرسيم، إستبرق بنفسج، سفرجل"[1].

ج-**الأساس الثالث:** الترتيب

يأتي الترتيب من بين الأسس الهامة في بناء المعجم، فهو يعكس اتجاه صاحبه ويشمل الترتيب ترتيبين: ترتيب خارجي للمداخل، وترتيب داخلي للمشتقات (المداخل الفرعية)، وحتى نتبين أي اتجاه اتبعه المستشرقون يجب العودة إلى المعاجم للكشف عن الترتيب الذي اعتمدوه، أكان الترتيب الألفبائي الذي استقرت عليه كل المعاجم تقريبا، أم اعتمدوا ترتيبا آخر؟

1 نقلا عن مناهج المستشرقين في الصناعة المعجمية، د. عبد العزيز الحميد، (بحث)، ص: 36.

1- ترتيب فيشر: ذكر فيشر الترتيب الذي اتبعه في كتابه قائلا: "وقد رتبت الكلمات حسب المواد، الترتيب المألوف لحروف الهجاء العربية، على اعتبار الحرف الأول والثاني والثالث أساسا..."[1]، وهو أفضل ترتيب يراه فيشر.

2- ترتيب المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب: لم يخرج دوزي في ترتيب معجمه هذا عن ترتيب معجمي عصره، فقد سلك الترتيب الألفبائي، إلا أنه لا وجود للمشتقات كونه معجما خاص بأسماء معينة للملابس، لذا يستحيل الاشتقاق منها فجعلها -أسماء الملابس-مداخلاً لمعجمه دون تجريدها من الزوائد.

3- المعجم المفهرس: "رتبوا مداخل المعجم على الترتيب الألفبائي على طريقة المعاجم العربية المتأخرة والحديثة، إلا أنهم اختلفوا مع دوزي وفيشر في بعض جوانب هذا الترتيب، حيث بدأوا بالفعل الماضي أولا وجعلوه رأس المدخل، المجرد ثم المزيد بحرف ثم حرفين ثم ثلاثة، فيأتي الثلاثي ثم الرباعي ثم الخماسي ثم السداسي ثم الأسماء المجردة، ثم الأسماء المزيدة"[2].

د- **الأساس الرابع:** هذا الأساس يُعرفنا على الطريقة التي يتبعها المؤلف في شرح المعنى ويتوقف الشرح على مدى إلمام المؤلف وإحاطته بذلك الكم من الثقافة والعلوم سواءً كان قليلاً أم كثيراً، ولهذا الطرح دور بالغ في عمله، لأنه يرسم طريقته في الشرح، ولمعرفة هذه الطريقة يجب الاطلاع على المعجم حتى نكشف الوسائل المستعملة لذلك.

هذا باختصار حديث عمَّا توفر لدينا عن تلك الأسس التي اعتمدها المستشرقون في صناعة المعجم.

2- نظرة المستشرقين للصناعة المعجمية:

أ- المعجم في نظر فيشر: أوغست فيشر من أبرز المستشرقين الذين كان لهم الأثر الواضح في الصناعة المعجمية، بل هو من أعلام هذا الميدان ما يُحتم علينا معرفة اتجاهه في صناعة المعجم المثالي الذي يظهر في نظريته التي تبناها، وأقرَّ بها في

1 نقلا عن مناهج المستشرقين في الصناعة المعجمية، د. عبد العزيز الحميد، ص:39.

2 جهود المستشرقين في الفهرسة اللغوية للقرآن والحديث، د. عبد العزيز بن حميد الحمد، (بحث)، جامعة كيرالا الهند (1433هـ/2012م)، ص: 22.

تأليف المعجم التاريخي الكبير للغة العربية، وقد بيَّنها حينما قدَّم تقريره الخاص لمجمع اللغة العربية في القاهرة، فيقول: لا ينشأ المعجم على أساس بقية المعاجم العربية التي نشرت قديما وحديثا، ولا يقتدي بأسلوبها، بل يمتاز عنها بأشياء مهمة تُعرف مما هو آت "[1]. وقد قصد (بما هو آت) الأسس التي اعتمدها المستشرقون في صناعة المعجم، ذلك التقرير الذي يبين المعجم المثالي في نظره، أما عن صنع المعجم فكان شيئا آخر، فهو يحتاج إلى من يطبق النظرية، ولذا فحينما بدأ بصنع المعجم التاريخي لم يلتزم بكل ما ذكره في خطة المعجم التاريخي الكبير، لأن ذلك التقرير أعده لمجمع اللغة العربية، أما معجمه الخاص فلم يُلزم نفسه بكل ما ذكره هناك، لأنه لا يستطيع القيام به لوحده.

ومما فعله فيشر لكي يكون صنع من المعجم ملائما له أن جعل له حدا زمنيا يمتد من عصر الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث هجري، وهو زمن العربية الفصحى في أوج كمالها، أما ما ذكره في تقريره الخاص فلم يحدد المعجم بفترة زمنية، بل ذهب إلى أنه يحوي كل كلمة وردت في الكتب العربية القديمة دون وضع حد زمني لنهايته"[2].

ب-المعجم في نظر ادوارد وليم لين (1801م–1876م): مستشرق إنجليزي سار في عمله على نهج العرب في أعمالهم، فقد اعتمد في معجمه على معاجم العرب وأثنى على ما قاموا به من جهود في سبيل حفظ لغتهم من الفساد والخلل، ولربما هذا التصور كان نابع من فهمه الصحيح للغة العربية الفصحى عكس ما ذهب إليه أقرانه من المستشرقين كدوزي والآخرين، إذ لم يأخذ بآرائهم المتحاملة على اللغة الفصحى، وتفنيدهم لحشو معاجمهم بتلك الألفاظ الدخيلة، والعامية والمولدة، وعليه فقد حذا لين حذو المعجميين العرب في تأليف معاجمهم، وبالتالي لم يقدم أي نظرية جديدة كما فعل دوزي وفيشر.

1 نقلا عن المعجم التاريخي لدى المستشرق الألماني فيشر– دراسة تقويمية، عبد العزيز الحميد (بحث)، ص: 04.

2 مناهج المستشرقين في الصناعة المعجمية، عبد العزيز الحميد، ص: 19.

3-**فهرسة المعاجم:**

أ- الفهرسة اللغوية للقرآن الكريم:

لا ينكر باحث ولا عالم تلك الجهود التي بذلها المستشرقون لفهرسة القرآن الكريم والحديث الشريف وإلا عُدَّ جاحدًا لفضلهم هذا، فقد وعى علماء الاستشراق بما للفهرسة اللغوية من قيمة في أي عمل كان، إذ لا يستقيم ويكتمل عمل أي مؤلف أو كاتب إلا بفهرسته، فبها يتم بلوغ هدف العمل، "ولأهمية الفهرسة اللغوية للكتب العلمية لتسهيل مراجعتها فقد أولاها المستشرقون عناية كبيرة مع ملاحظة سبق المسلمين إليها في عصور ماضية "[1]، الأمر الذي دفع إلى الاعتراف بقيمة أعمالهم، يقول الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في هذا الشأن: "ومما امتازت به مطبوعات المستشرقين أن عنوا بوضع الفهارس المرشدة للقارئ أتم عناية في أغلب أحيانهم، وتفننوا في أنواعها مرتبة على حروف المعجم... وهذا عمل قيم جليل، لا يدرك خطره وفائدته إلا من أبتلي بالعناء في البحث والمراجعة وعجز أو وصل إلى ما يريد البحث عنه"[2].

ولقيمة هذه الأعمال يجب أن نعرج على بعض منها، ومن ذلك (نجوم الفرقان في أطراف القرآن) للمستشرق الألماني جوساف فلوجل.

نجوم الفرقان في أطراف القرآن: هو أول فهرس للقرآن الكريم وكل ما ظهر بعده من فهارس في البلاد العربية والإسلامية اِعتمدت عليه، طبع المعجم لأول مرة عام(1842م) ثم أعيد طبعه في ليبزج عام(1898م)، قال فيه محمد فؤاد عبد الباقي: "وإذ كان خير ما أُلف وأكثره استيعابًا في هذا الفن دون منازع ولا معارض، هو كتاب(نجوم الفرقان في أطراف القرآن) لمؤلفه المستشرق فلوجل الألماني، الذي طبع لأول مرة عام(1842م)، فقد

1 جهود المستشرقين في الفهرسة اللغوية للقرآن والحديث، د. عبد العزيز بن حميد الحمد، ص: 02.

2 تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمية وكيفية ضبط الكتب وسبق المسلمين الافرنج في ذلك، أحمد شاكر، مكتبة السنة، القاهرة، ط2، (1415هـ)، ص: 41.

اعتضدت به وجعلته أساسًا لمعجمي"[1]، واِعترافه هذا دليل على قيمته العلمية وعلى مدى الاِستفادة منه.

ب- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث:

"من عمل المستشرق الهولندي أرنت جان فنسك، عزم على وضع معجم مفهرس بحسب الألفاظ وبالترتيب الهجائي للأحاديث معتمدًا في ذلك على ما ورد في كتب السنة الصحاح الستة، وفي (مسند) الدَّارمي، وفي (مسند) أحمد بن حنبل، وفي (موطأ) الإمام مالكن وبالاستعانة بثمانية وثلاثين باحثًا من مختلف البلدان، طبع الجزء الأول منه عام(1936م)"[2]، إلا أن صاحبه مات عام(1939م) قبل أن يكمل عمله، فتولت الهيئات والأكاديميات العالمية مواصلة هذا العمل إلى أن اكتمل فعلاً عام(1969م).

1 نقلا عن جهود المستشرقين في الفهرسة اللغوية للقرآن والحديث، د. عبد العزيز بن حميد الحمد، ص: 05.

2 المصدر نفسه، ص: 14.

الفصل الثاني

معجم دوزي دراسة تحليلية

إن الجانب التطبيقي من هذه الدراسة هو من أهم الجوانب، كونه يكشف عن الصورة الحقيقية لتوجه صاحب المعجم، ناهيك على أنه يُعدُ مقياسًا حقيقيًا لمدى توفقه أو إخفاقه في عمله هذا، لذا فإننا حاولنا جاهدين، وبكل ما توفر لدينا من وسائل قصد الإلمام بأكبر قدرٍ ممكن من المعلومات علَّها تساهم في إثراء هذا الجانب من العمل لكن ليس كلُ ما يتمناه المرء يدركه، فقد كانت المصادر قليلة لا تكفي لإثراء هذا العمل، وهذا ناتج عن قلة الاهتمام بهذا الكتاب في الأصل كما ذكرنا في مقدمة بحثنا لذا كان العمل الفردي هو الغالب، ما ضاعف من جهودنا أكثر.

و من المصادر التي اعتمدناها:

- كتاب لإبراهيم بن مراد بعنوان (دراسات في المعجم العربي)، والذي تحدث في جوانب كتابه عن منزلة مستدرك دوزي في المعجمية العربية إلا أنَّ هذه الدراسة في غالبها كانت دراسة نقدية.
- بحث حول مناهج المستشرقين في الصناعة المعجمية لعبد العزيز الحميد، لكن هذا البحث جعل كتاب إبراهيم بن مراد مصدرًا أساسيًا له.
- وأخيرًا الترجمة التي قام بها الدكتور محمد سليم النعيمي لكتاب (تكملة المعاجم العربية) لصاحبه رينهارت دوزي، والتي استندت إليها دراستنا التطبيقية، خاصة في قضية الشرح.

I - جوانب من المؤلف:

1-حياته :

رينهارت دوزي مستشرق هولندي، ولد في 21 فبراير 1820م في ليدن، من أسرة فاخرة في فرنسا، وتصاهرت مع أسرة اسخولتنسSCHULTENS التي منها المستشرق الكبير البرت اسخولتنس، وجان جاك اسخولتنس، تزوج بهولندية في عام (1845م) وسافر معها إلى ألمانيا لقضاء شهر العسل، توفي سنة (1883م- 1300هـ).

2-مساره العلمي:

منذ صباه الباكر ولع رينهارت دوزي باللغات، ودخل جامعة ليدن في 1837م فأبدى تفوقا ظاهرا على أقرانه في اللغات والآداب الحديثة، فأتقن الفرنسية، والإنجليزية والألمانية، والإيطالية، أكبِّ على دراسة اللغة الألمانية في العصر الوسيط، فدرس ملحمة "النيلوتجن" التي هي بمثابة "إلياذة الألمان"، وأخذ في دراسة اللغة العربية على يدي ناظر إحدى المدارس الثانوية قبل دخوله الجامعة ولما دخل جامعة ليدنن واصل دراسة العربية على يدي الأستاذ فايرز، كذلك درس عليه العبرية، والكلدانية والسريانية، وكان فايرز في الوقت نفسه مديرا لقسم المخطوطات العربية في مكتبة ليدن، زاد بريقه بعد أن حصل على جائزة خصصتها جامعة ليدن كمكافئة لمن يكتب عن الملابس العربية، فاشترك دوزي في هذه المسابقة، ونال الجائزة وهو لايزال طالبا في الجامعة مع أنها كانت مسابقة عامة لكل الباحثين في مختلف أوروبا، وكان ذلك سنة (1843 م)، "لكن هذا الكتاب لم يظهر إلا في سنة (1845م)، تحت عنوان "معجم مفصل بأسماء الملابس عند العرب"،(و يقع في 8 + 446 من قطع الثمن أمستردام 1845)، وقد كتبه باللغة الفرنسية التي ستكون لغته الأولى فيما كتب من

أبحاث وكتب"[1]، يُعد هذا العمل الكبير هو الانطلاقة الفعلية لدوزي في مجال التأليف وبه دخل هذا المجال من بابه الواسع مزاحما أقرانه المستشرقين آنذاك.

كانت رحلته إلى "جوتا "بألمانيا من عام (1944م) في شهر العسل مع زوجته فرصة له ليتنقل بين مكتباتها، ويبحث في رفوفها الحافلة بالمخطوطات النفيسة العربية وهكذا عثر على الجزء الأول من "الذخيرة في أخبار الجزيرة" لابن سام الشنتريني الذي وجد فيه معلومات نفيسة جديدة عن السيد القمبيطور في الروايات العربية، وحصل دوزي على إذن المكتبة باستعارة هذا المخطوط، كما تعرَّف على أحد أئمة المستشرقين بهنزيج فلاشير الأستاذ في كلية ليزج للدروس الشرقية لتربط بينهما علاقة وطيدة دامت مدة طويلة، رحل مرة أخرى إلى إنجلترا عام (1845م) ونسخ الجزء الثاني من الذخيرة وبعض المخطوطات النفيسة الموجودة في مكتبة أوكسفورد. بعد عودة دوزي إلى هولندا شغل عدة مناصب منها توليه إدارة مخطوطات مكتبة ليدن الشرقية عام (1846م) فوضع فهرسين لها، ثم عٌين أستاذ اللغة العربية بجامعة ليدن عام (1850م)، ليشغل هذا المنصب إلى غاية (1878م)، وعلى إثر ثورة (1878م) أنتدب بتدريس التاريخ العام في الجامعة، فأسف عليه المستشرقين، كما أنتخب عضوًا في الأكاديمية العلمية الملكية في أمستردام وعضوًا في أكاديمية كوبنهاغن، كما عُين مراسلاً لأكاديمية العلوم في بطرسبورغ والمعهد الفرنسي في باريس، وأكاديمية التاريخ في مدريد، وعضوًا مشاركًا في الجمعية الأسيوية في باريس.

1 موسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن بدوي، ص: 259.

3- **مكانته العلمية:**

إنَّ الأعمال التي قدمها دوزي في زمانه، وتلك المصادر التي اعتمدها في أضخم عمل له "تكملة المعاجم العربية" خاصة، ضِف إلى ذلك اطلاعه على العديد من الثقافات لإتقانه لغات غير العربية كاليونانية، واللاتينية، والفرنسية، والألمانية والبرتغالية، والاسبانية تدل على سعة علمه، ومن ينظر في قائمة مؤلفاته التي تركها يجد نفسه أمام عالِم غزير العلم والإنتاج، متنوع الاهتمامات والمعارف، فقد قاربت الثلاثين بين مجلدات ورسالة، وبحث، ومقالة، توزعت على التأليف والترجمة والتحقيق، والفهرسة، وإذا ما أضفنا لها بعض المقالات التي ذكرها عبد الرحمن بدوي في كتابه (موسوعة المستشرقين) سنجدها تفوق هذا العدد الذي ذكرناه، كل هذا أهله لنيل العديد من الأوسمة الرفيعة، وألقاب الشرف التي نالها والمناصب التي تقلدها في أكبر المعاهد والجامعات، وعضوية مجامع علمية وفيرة لدليل على ذلك. حتى عدّه أعلام المستشرقين أول فاتح للدراسات الأندلسية، وتعد مؤلفاته مرجعا لتاريخ الأندلس وحضارته وثقافته.

4-**آثاره:**

- **الكتب:**

- أول كتاب وهو (شرح تاريخي على قصيدة ابن عبدون)، تأليف ابن بدرون صدَّر نشرته بمقدمة، وزوده بتعليقات وفهرس، صدر في مجلد من حجم الثمن، في (1846م-1848م) ليدن.
- (تعليقات على بعض المخطوطات العربية) (1847م-1851م)، ليدن، بريل في 260صفحة.
- (كتاب تاريخ الموحدين) لعبد الواحد المراكشي، ليدن 1847م.
- (تاريخ المسلمين في إسبانيا)، صدر1861م، ليدن، ويعد من أكبر الأعمال التاريخية التي كتبها المستشرقون.
- (اليهود في مكة)، صدر سنة 1864م.

- (معجم مفصل بأسماء الملابس عند العرب)، صدر سنة 1845م بأمستردام والذي نال عليه الجائزة.
- (تاريخ بني زيان في تلمسان)، ترجمه وزوده بتعليقات، ونشر في عدد في المجلة الأسيوية، مايو ويونيو 1844م.
- (معجم الألفاظ الاسبانية والبرتغالية) المأخوذة من اللغة العربية، ليدن ابريل1869م في 424 ص.
- (البيان المغرب في أخبار المغرب)، لابن عذاري المراكشي، طبع الجزء الأول منه في ليدن سنة1848م، والجزء الثاني سنة (1849م–1851م).
- (كلام كتاب العرب في دولة بني عباد)، استعان في إخراجه بالذخيرة لابن بسام طبع في ثلاثة أجزاء في ليدن (1847م–1863م).
- (فهرس المخطوطات الشرقية) في مكتبة جامعة ليدن، طبع في ليدن سنة1851م.
- (المعجب في تلخيص أخبار المعرب) لعبد الواحد المراكشي، طبع في ليدن سنة 1847م، وأعيد طبعه ثانية في ليدن سنة 1881م. نقله فابيان إلى الفرنسية وطبع في الجزائر سنة1893م.
- (بعض الأسماء العربية)، نشرت في الجريدة الأسيوية سنة 1847م.
- (أدب قشتالة وأمير الأمراء)، طبع سنة 1848م بليدن.
- (نظرات في تاريخ الإسلام، وبحوث في تاريخ إسبانيا وآدابها في العصر الوسيط) في جزأين، طبع مرات، وكانت الطبعة الثالثة في ليدن1881م.
- (فهرس المخطوطات الشرقية، في المجمع الهولندي بأمستردام، طبع في ليدن سنة 1851م.
- (نفح الطيب في غصن الأندلس الرطب) لأبي العباس المعري، حقق الجزأين الأول والثاني(1861م–1865م).
- (اسبانيا في عهد كارلوس الثالث) سنة 1858م.
- تعليقات على رحلة ابن بطوطة، نشرت في حوليات جوتتجن عام 1860م.
- مملكة غرناطة نشرت في المجلة الشرقية الألمانية سنة 1862م.
- (تاريخ الإسلام في فجره حتى عام 1863م)، طبع في ليدن سنة 1863م.

- (تاريخ العرب السياسي والأدبي)، طبع في ميونيخ، سنة (1866م-1876م).
- **الرسائل والمقالات:**
- رسائل عن بعض الكلمات العربية الموجودة في الفصل 624 من التاريخ القطالوني، تأليف آن رامون مونتانر (المجلة الأسيوية، أغسطس،1847م).
- (ثلاث مقالات طويلة) عن الأدب الاسباني في العصر الوسيط (مجلة لميس 1848م).
- تحليل لمقالة كتبها دفرميري (عن أسرار الأمراء)، المجلة الأسيوية نوفمبر- ديسمبر 1848م.
- مقالا قام فيه بتصحيح نص رسالة ابن الخطيب.
- **مقالات في نقد الكتب:**

- نقد ترجمة دي سلان لمقدمة ابن خلدون، ويقع في عشرين صفحة، نشر في المجلة الآسيوية، أغسطس، سبتمبر 1869م.
- نقد كتاب (إسهامات في تاريخ العرب المقارنة)، نشر في ZDMG سنة 1866 ص: 614 وما يتلوها.
- نقد لرسالتي أرنيست رينان (ابن رشد والرشدية).

و مقالات أخرى كتبها:

ابن رشد وفلسفته في الرد على رينان، نشرت في الجريدة الآسيوية سنة 1853م.

- **البحوث والدراسات:**

- كتب بحثا عن عريب بن سعد الكاتب القرطبي، وربيع ابن سعد الأسقف، نشر في المجلة الشرقية الألمانية سنة 1866م.
- دراسة لمقدمة ابن خلدون، التي نشرها دي سلان المتوفي سنة 1879م، وكان قد أتم بها ترجمة مقدمة ابن خلدون التي شرع بها كاترمير في ثمانين (80) صفحة نشرها في الجريدة الآسيوية.
- أبحاث في التاريخ السياسي والأدبي لإسبانيا خلال العصر الوسيط، ج1 1849م ليدن بريل.

- رسالة إلى فليشر في الطبعة العربية لنفح الطيب، نشرت في ليدن سنة:1871م.
- محاضرة ألقاها في (09 مارس 1850م) بعنوان "في التأثير المفيد الذي كان للثورات في فرنسا ابتداءً من 1879م على دراسة تاريخ العصر الوسيط"، نشر هذه المحاضرة في (حوليات الجامعات).

و له في الدراسات اللغوية المعجمية (ثبتا شارحا للكلمات الهولندية المأخوذة من العربية، والعبرية، والكلدانية، والفارسية، والتركية)، 1867م.

5-نظرة دوزي إلى المعجم العربي:

كنا فيما سبق قد تطرقنا إلى نظرة المستشرقين للمعجم العربي آخذين نموذجين في ذلك (فيشر وادوارد لين)، وكانت لكل منها نظرة تختلف عن الآخر أما عن دوزي فإن نظرته لا تكاد تختلف عن نظرة فيشر للمعجم العربي، فمنذ بداية اهتمامه بالمعجمية العربية حوالي سنة 1842م، كانت له نظرة واضحة للتأليف المعجمي العربي، قال في مقدمة معجمه (المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب) : "وإنني إذ أتحدث عن معجم عربي أعني بذلك قاموسا يأخذ على عاتقه – إلى جانب اهتمامه بكل ما لديه من طاقة، بالمعنى الدقيق الذي كانت تعنيه كل كلمة لدى نشأتها- مهمة تجعلنا نضع بصورة محكمة واضحة مختلف المفاهيم التي تلقتها كل كلمة في الجزيرة العربية، وفي فارس، وفي سوريا، وفي أفريقيا ...الخ وأخيرا نناشد هذا القاموس أن يكشف لنا عن كل المهام التي عبرت عنها الكلمات في جميع الأقطار التي تألفت منها هذه الإمبراطورية العربية المترامية الأطراف التي امتدت من الهند حتى حدود فرنسا. إنني أتحدث عن هذا المعجم المنشود الذي أطالبه باستناده الدائم على نصوص المؤلفين أن يخط لنا إن صح القول، تاريخ كل كلمة، وقصة كل جملة هذا المعجم المفقود الذي يميز بوضوح وجلاء المعاني الخاصة لكل كلمة في قطر معين من الأقطار العربية من المعاني التي كانت تعرب عنها الكلمة في قطر معين آخر: القاموس الذي يجب أن يميز معنى كل كلمة لدى الشعراء من معناها الخاص

لدى كتاب النثر. وختاما، إنني أحلم بالقاموس المنطوي على كل التعابير العلمية والفنية، المشروحة شرحا منهجيا "[1].

من هذا القول لدوزي تتضح رؤيته أو نظرته للمعجم المثالي الذي تحتاج إليه اللغة لتدوين ألفاظها ومفرداتها، فقد وضع له شروطا لصناعته، كإعطاء صورة واضحة ودقيقة لمفهوم اللفظة في جميع الأقطار، وإعطاء كل المعاني التي عبَّرت عنها كل الكلمات في جميع الأقطار أيضا، فهو بذلك يدعوا إلى معجم تاريخي ويرى ابن مراد مُعلقا على هذا القول: "و يستنتج من هذا الرأي أن المعجم المثالي في نظر دوزي هو المعجم اللغوي التاريخي، الجامع الذي يدون شتات ألفاظ اللغة العربية وعباراتها، ويؤرخ لمختلف دلالاتها في مختلف العصور والأمصار بالاعتماد على استقراء النصوص كانت هذه هي نظرة دوزي للمعجم العربي المثالي، وهي نظرة لم يحد عنها، إذ كررها في مقدمة معجمه (تكملة المعاجم العربية)، فيقول لابد إذا من أن يصنف معجم يجمع الألفاظ والعبارات التي لم يستعملها العرب في لغتهم الفصحى قديما، غير أن الأدب العربي واللغة العربية من السعة والثراء، بحيث لابد أن تنقضي سنون كثيرة، بل ربما قرون قبل أن يشرع في تصنيف مثل هذا المعجم"[2].

6-المؤثرات على دوزي:

الإنسان ابن بيئته وعصره، لذا فإن دوزي لم يكن ليحكم على المعجم العربي بتلك النظرة الناقدة لولا بعض المؤثرات التي كانت سائدة في زمانه، فمن غير العدل أن نحكم على دوزي بالخطأ في رؤيته هذه إلا بعد كشف خلفيته الثقافية التي نشأت من تلك النظرة التي كانت سائدة في عصره اتجاه اللغة العربية الفصحى، فهو لم يختلف

---

1 المعجم المفصل لأسماء الملابس عند العرب، تعريبه، د. أكرم فاضل، مجلة اللسان العربي،العدد: 05 المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي، جامعة الدول العربية، الرباط، المغرب الأقصى، ص: 215.

2 دراسات في المعجم العربي، إبراهيم بن مراد، ص: 272.

في نظرته إلى الفصحى عن بعض المستشرقين الذين كانوا يرون أنها لم تعد صالحة في عصرهم، يقول: "إن اللغة العربية الفصحى، لغة الشعر القديم، ولغة القرآن والحديث، لم تعيش إلا نحوا من مائتي سنة "[1]، فهو بهذا يؤكد أنَّ اللغة العربية الفصحى قد انقرضت، وعذره في ذلك أنَّ اللغة كائن حي له حياته الخاصة يتطور بتطور الزمن، ويحيا ويموت.

لقد أخذ عليه تطرفه في نظرته هذه بعض المستشرقين، فلم يؤيدوه عليها ومنهم كيس فرستينج، حيث قال: "و لنرجع الآن إلى موقف دوزي إزاء تلك اللغة الكلاسيكية فلقد رأينا أنّه لم يعترف إلا باللغة الشعبية باعتبارها لغة حيّة، ولقد وجدها في نصوص العصور ما بعد الكلاسيكية، وأعتقد أن ذلك الحكم غير مقبول من جهتين: الأولى تتعلق بطبيعة تلك النصوص التي يستعملها دوزي في تدوينه كنوز اللغة العربية، ومن عادة المستشرقين الغربيين أن يُسَموا ذلك النوع من العربية اللغة لتوسطها بين اللغة الفصحى واللغة MIDDLE ARABIC الوسطى الدارجة، لكن ذلك المصطلح لا يصنف حالة تلك اللغة بدقة، لأن مؤلفي تلك النصوص لم يكتبوا لغة دارجة، ولا يصدق قول دوزي إنها مكتوبة بلغة حيّة، بل هي نتائج اجتهادات المؤلفين لتقريب اللغة الفصحى وتيسيرها... "[2].

لقد كان لهذه المؤثرات أثرا واضحا في نظرته للمعجم الذي يرى فيه معجماً مثالياً، فتأثره بالمنهج التاريخي الذي ساد في عصره واضح.

---

1 تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي، ترجمة د. محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للنشر، العراق،1980م ، ج1 ص: 13.

2 في المعجمية المعاصرة، وقائع ندوة مائوية، أحمد فارس الشدياق وبطرس البستاني ورينهارت دوزي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، (1407هـ/1987م) ص: 410.

II - جوانب من المعجم:

1-التعريف بالمعجم:

هو معجم لغوي(عربي- فرنسي)، ألفه دوزي العام 1881م، ضمنه كلمات عربية فصيحة، وعامية، ومولدة، ودخيلة، وأعجمية، مع مرادفاتها بالفرنسية يُعد هذا المعجم حلماً لطالما راوده في شبابه، أما عن طريقته في التأليف، فقد أخرجه في جزأين، الجزء الأول منه صدَّره بمقدمة من(12) صفحة، تطرق فيها إلى العديد من النقاط، بداية بحديث عن اللغة العربية، مُبرزًا نظرته إليها، وما أصابها من تغير نتيجة اختلاط العرب بغيرهم، مُعيبا على أصحابها محاولتهم إبقاء اللغة على حالها ومثنيا في الوقت ذاته على تلك الجهود التي بذلوها في سبيل الحفاظ عليها، وبعدها دعا إلى وجوب تأليف معجم تُجمع فيه الألفاظ والعبارات التي لم يستعملها العرب في لغتهم الفصحى، لكنه يُقِّر بصعوبة هذا العمل لِيُشير بعدها إلى بوادر النهوض به مستعينًا في ذلك ببعض الحواشي والتعليقات المتوفرة في وقته، وما ذكره أيضا هو اعترافه بنقص عمله، ولربما هو دلالة على تواضعه، فيقول: "و قد دفعتني هذه الاعتبارات، بل جرأتني فرأيت أنني قد أُخرج مصنفًا مفيدا إذا ما رتبت تعليقاتي اللغوية، ونسقتها، ونشرتها، وهي تعليقات جمعتها أثناء قراءاتي طوال أكثر من ثلاثين سنة، وعلى الرغم من ثقتي بأني لن أوفق في تصنيف معجم يتسم بالكمال، فقد قمت بتصنيف هذا المعجم ..."[1].

كما تطرق دوزي في مقدمته إلى ذكر المصادر التي اعتمدها في عمله مركزًا على ثلاثة كتب غربية، وآخر عربي، أطال الحديث عنهم مع تقديم انتقادات لهم، وقبل أن يختم هذه المقدمة ذكر بعضًا مما لم يورده في معجمه، "كتصغير الاسم الرباعي المقصور الذي ينتهي بألف وليس بياء في المعاجم الاسبانية، كما لم يذكر كثيرًا من

1 تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي، ترجمة د. محمد سليم النعيمي، ص: 17.

صيغ الكلمات حين تكون معروفة، فجمع المؤنث السالم للأسماء المؤنثة التي تنتهي بتاء التأنيث، وأسماء التصغير، وأسماء الوحدة، والصفات المشبهة بـ (أن)، وكثيرًا من أسماء الحرف المأخوذة من الجموع ... وصفة فعل بالتشديد المستعمل بمعنى أفعل وصفة الفعل المستعملة بمعنى فعل المبني للمجهول..."[1].

و في خاتمة المقدمة حمد الله على إتمامه هذا العمل قبل أن تأخذه الموت، كما حدث لبعض من أقرانه، هذا ما جاء في مقدمته للجزء الأول. بعد هذه المقدمة جعل عدة فهارس مرتبة ترتيبًا ألفبائيا:

- فهرسًا خاصًا لمعاني الرموز التي وردت في المعجم.
- فهرست كتب الرحلات التي لم يجد فيها ما يفيد المعجم.
- فهرس الكلمات العربية في معجم بيدرو دي الكالا كتابتها مشكوك في صحتها.

أما عن ترجمة المعجم إلى العربية، وهو ما يهمنا، فلم ترى ترجمته النور إلا بعد مرور زمن طويل عن صدوره، قارب أكثر من قرن بعد أن تولى هذه المهمة الدكتور محمد سليم النعيمي (رحمه الله) عندما أقبل على نقله إلى العربية بداية من حرف الهمزة إلى نهاية حرف الزاي لتُفاجئه الموت بغتة، وصدر منه خمسة أجزاء عن دار الرشيد سنة(1981م)، ليواصل بعده الدكتور جمال الخياط هذا العمل حتى نهايته إلى عشرة أجزاء، إلا أن ما يُميز ترجمة جمال الخياط عن النعيمي هو وضع فهرس للألفاظ الواردة في نهاية كل جزء، ما يُسهل على الباحث وجود اللفظة ومعناها دون عناء.

1 تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي، ترجمة د. محمد سليم النعيمي ، ص:28.

2-عنوان الكتاب:

العنوان الذي أطلقه دوزي على معجمه بالفرنسية هو: Supplément- aux Dictionnaires arabes، والذي أخذ عدة ترجمات مختلفة منها:

ملحق بالمعاجم العربية، الملحق بالمعاجم العربية، وملحق المعاجم العربية، ذيل المعاجم العربية، ملحق وتكملة المعاجم العربية، وتكملة المعاجم العربية المستدرك على المعاجم العربية أو تتمة المعاجم العربية أو ملحق للمعاجم العربية أو تكملة المعاجم العربية"[1]، وقد تكون الترجمة الأخيرة هي المناسبة لما أطلقه دوزي عن كتابه بالفرنسية وهو ما ذهب إليه الدكتور النعيمي في مقدمة ترجمته للمعجم لا لأنه كما يقول أفضل ترجمات الاسم الفرنسي، بل لأنه أشهرها وأيسرها، ولذلك أطلقته مكتبة لبنان اسمًا لطبعة الأوفيست التي نشرتها سنة (1969م)"[2].

3-دواعي تأليف المعجم:

ذكر دوزي في مقدمته قولاً للين، وهو الخبير بلا منازع في رأيه: "إن معجمات للعربية غير الفصحى لا يمكن أن ينتهي بجمعه وتصنيفه إلا عدد كبير من العلماء المستشرقين في مختلف مدن أوروبا التي فيها مكتبات تزخر بالمخطوطات العربية، ومثلهم من العلماء في مختلف أقطار آسيا وأفريقية، ويستمدون بعض مادتهم من الكتب، ويستفيدون بعضها من المعارف التي يستطيع العرب وحدهم معرفتها، ولا بد لهم من جماعة كبيرة من المساعدين المتخصصين في العلوم الإسلامية"[3]، وانطلاقًا من هذا القول راودته فكرة تأليف معجمٍ يستدرك فيه ذلك النقص الذي شاب المعجم العربي، والمتمثل في عدم إيراد العديد من الألفاظ والمفردات التي وردت بعد عصر

1 المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث د.رجب عبد الجواد إبراهيم، دار الآفاق العربية، ط1، (1423هـ/2002م)، القاهرة، ص: 14.

2 تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي، ترجمة د. محمد سليم النعيمي، ص: 11.

3 المصدر نفسه، ص: 11.

الفصحى إلا أنه رأى "أن العمل لتحقيق هذا الهدف صعب، ولم يحن وقته، لأنه يتطلب الجهد الكبير، والعمل المتلاحم، إذ كيف يتسنى أن يشارك في أمر عسير عمله، طويل أمده عدد من العلماء في ثلاث قارات من قارات الأرض والمستشرقون منهم في أوروبا، وهم مبعثرون في مدنها، كل واحد منهم ينصرف إلى مشاغله الخاصة.

والمشارقة منهم لم يألفوا أساليبنا العلمية، ثم يرغب في أن ينهض بأعباء عمل لا يرغب فيه أحد، فيقوم بتأليف وتحرير مثل هذا المصنف، لأن تأليفه وتحريره لابد أن يعهد به إلى رجل واحد؟، وهل يستطيع مؤلفه أن يطمئن إلى كفاءة مساعديه وسداد عملهم؟، وهل يوفق إلى تحقيق الانسجام بين هذا العدد الكبير من الأشخاص الذين ربما لكل واحد منهم فهم خاص ورأي مختلف؟ "[1].

كل هذه الإشكاليات يرى فيها دوزي عقبات في سبيل تأليف ذلك المعجم الذي يطمح إليه، وحتى يحين الوقت لتحقيق ذلك يرى" أن الظروف قد بدأت تظهر منذ أكثر من قرن ملمحًا إلى تلك الحواشي والتعليقات والشروح التي كتبها أصحابها ولم تؤلف وتنشر بعد، فقد كان لابد لكل مستشرق ومستعرب أن يكمل معجمه بتعليقاته وحواشيه التي يقوم إليها لاستعماله الشخصي، وفي مكتبتنا كثير من المعاجم فيها مثل هذه التعليقات والحواشي"[2]، هذا ما أسف عليه دوزي، فهذه الحواشي والتعليقات تعد ثمرة جهود طويلة، وقراءات كثيرة ضاعت سدًا، لذا دعا إلى جمعها وترتيبها علَّها تكون معجمًا أو ما يقارب ذلك، لكن دوزي لم ينتظر طويلاً حتى يحين ذلك الوقت، ويقول: "وقد دفعتني هذه الاعتبارات، بل جرأتني أنني قد أُخرج مصنفًا مفيدًا إذا ما رتبت تعليقاتي اللغوية، ونسقتها، ونشرتها، وهي تعليقات جمعتها أثناء قراءاتي طوال أكثر

1 تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي، ترجمة د. محمد سليم النعيمي ، ص:16.

2 المصدر نفسه، ص: 16.

من ثلاثين سنة، وعلى الرغم من ثقتي بأنني لن أوفق في تصنيف معجم يتسم بالكمال فقد قمت بتصنيف هذا المعجم وأنني في كثير من المواضيع التي وجدت أنَّ من الأفضل التوسع فيها، قد تركت ذلك حين رأيت أن فريتاج أو أن لين قد أحسنا شرحها إلا فيما ندر محاولاً ن أكمل ما جاء فيهما مستمدًا من مصادر عديدة...."[1].

4-منهج المعجم:

لا يحتاج المطّلع على معجم "تكملة المعاجم العربية" لوقت حتى يكتشف المنهج الذي اعتمده في صناعة معجمه هذا، فيكفيه معرفة نظرته للمعجم العربي المثالي، فهو يرى أنَّ العربية ومتحدثوها بحاجة إلى معجم يعتني بألفاظها وتاريخها أي تطور الدلالات المختلفة لكل لفظة تطورًا تاريخيًا، إلى جانب اهتمامه بميدان خاص من المفردات، وهو رأي ذكره في مقدمة معجمه (المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب)، وكرره في مقدمة التكملة، وهذا هو مفهومه للمعجم التاريخين ومن هنا يتضح المنهج الذي اعتمده، وهو المنهج التاريخي لأنه الأنسب له.

5-الداعمون للمعجم:

"تكملة المعاجم العربية" هو عمل ضخم اعترف به العديد من الباحثين عربا كانوا أم غربيًا، فقد قضى فيه دوزي أربعون سنة من حياته، كما ذكرنا سالفًا، ومدة كهذه أتاحت لصاحب المعجم الفرصة لجمع عدد كبير من الألفاظ والمفردات إلا أن هذا العمل لم يكن ليخرج بهذه الحُلة لولا مساهمات بعض الأساتذة والأصدقاء كلٌ حسب مستواه وقدرته، ما جعل منه معجمًا غنيًا، وهذا ما أشاد به دوزي نفسه ومن بين هؤلاء الذين أتى دوزي على ذكرهم:

- " الأستاذ رايت من جامعة كمبرج الذي أرسل إليه مدوناته وملاحظاته اللغوية التي استخلصها من ديوان الهذليين، وديوان أمرئ القيس، والكامل للمبرد

1 تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي، ترجمة د. محمد سليم النعيمي ، ص:17.

والمفصل، ومن ترجمة السعدية للمزامير ومن المعجم السرياني لپاين سميث ومن بار علين وكتاب أبي الوليد"[1]، غير أن الفائدة كانت مما استخلصه من كتاب أبي الوليد لاهتمامه باللهجة العربية الأندلسية، وهو ما يعزز فكرة أن الهولنديين اهتموا بالتراث الأندلسي أكثر مقارنة باهتمامهم بالتراث العربي والإسلامي عامة، أما عن أعمال البار علي، ومعجم پاين سميث فكانت الإفادة منها قليلة لكثرة الأغلاط فيها، والشكوك في صحتها.

- الأستاذ لسيمونيه، أستاذ العربية في غرناطة الذي أرسل إليه خلاصات ثمينة مستخلصة من كتاب في الزراعة من تأليف ليون، وأخرى من عدد من المخطوطات الأسكوريال، ومكتبات اسبانية أخرى، كما ساعده على معرفة أصول كثير من الكلمات التي لم تعد مستعملة، وهي كلمات أخذها العرب من اللهجات الرومانية.
- و أخيرًا صديقه أماري، وتمثلت مساهمته في مساعدته على استعارة مخطوطة المستعين الفريدة من مكتبة نابولي، كما نسخ له معجم پاجني وقدم له خلاصات من إجازات العرب الصقليين، دون أن ننسى ذكر العالم دي غويه الذي كان يساعده خفية، فقد قدَّم إليه كثيرًا من النصوص كنصوص كتاب ياقوت، وكتاب الأغاني الطبعة الأولى.

6-قيمة المعجم:

من العدل أن نُنوه بقيمة العمل الكبير الذي قام به دوزي بخصوص معجمه وما تلك السنين التي قضاها من أجل إخراج هذا العمل على النسق الذي أراده والتي أخذت منه مرحلة مهمة من حياته، مرحلة الشباب التي سخرها في البحث والعمل المتواصل مطالعًا للعديد من المخطوطات والكتب، كما أجهد نفسه إتقان العديد من اللغات حتى يَسهُل عليه الإلمام بأكبر قدرٍ ممكن من الألفاظ والمفردات التي جمعها في معجم "تكملة المعاجم العربية"، إن هذا النسيج الذي نسجه دوزي لمعجمه جعله يخالف به

1 تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي، ترجمة د. محمد سليم النعيمي ، ص: 26.

أمثاله من المستشرقين، ومن هنا نستطيع أن نميز قيمة هذا المعجم عن باقي المعاجم العربية والغربية التي سبقته، فدوزي في جمع مادته لم يقتصر على جمع الألفاظ الفصيحة فقط كما جرت عليه العادة، بل جمع كل ما صادفه من ألفاظ مُعربة ودخيلة، وعامية، وغيرها، إنَّ هذا التميز خطا بالمعجمية العربية خطوة نحو الأمام من جانب استعمال المفردة العربية التي وفي وقت مضى قبل عمل دوزي اقتصرت في غالبها على المفردة الفصيحة، "و الكتاب في الحقيقة إضافة مهمة جدًا إلى المعجم العربي لا نعرف أن أحدًا من المستشرقين أو من العرب المحدثين قد أتى بمثله"[1].

رغم أهمية هذا المعجم في مسيرة المعجمية العربية، وبالرغم من كل السنين التي مرت على صدوره التي فاقت القرن في طبعته الأولى في ليدن(1881م)، لم يجد له مكاناً في الدراسة والتقييم، عدا " تلك المقالات الثلاث المنشورة في مجلة الطبيب سنة 1884م، للعلامة إبراهيم اليازجي، وتلك الملاحظات التي نشرها الأب ماري الكرملي عنه في مجلة لغة العرب، ويبقى العمل الوحيد في حق هذا المعجم الذي قام به المرحوم الدكتور محمد السليم النعيمي عندما أقدم على نقله إلى العربية وقد نقل منه ما يقارب من ثلثه إلى نهاية حرف الزاي، وصدر منه خمسة أجزاء ببغداد سنة (1981م)، وقد توفي قبل أن يستكمله"[2].

7-مآخذ عن المعجم:

لا أحد مِنَّا يستطيع أن يُقدم عملاً دون وقوعه في سقطات تؤخذ عليه، فلا كمال إلا لله وحده، إلا أنَّ هذه المآخذ تبقى نسبية من الواحد إلى الآخر، فكما أعاب دوزي على بعض المعجمين أعمالهم وجد نفسه هو من يُؤخذ على عمله بعض العيوب، ومن

---

1 دراسات في المعجم العربي، إبراهيم بن مراد، ص: 201.

2 المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث د.رجب عبد الجواد، دار المعارف العربية، القاهرة، ط1، (1423هـ/2002م)، ص: 14-15.

بين هذه المآخذ التي وردت في ترجمة مقدمة التكملة للنعيمي والبحث الذي قام به الدكتور علي توفيق الحمد، والدراسة النقدية التي قام بها إبراهيم بن مراد ما يلي:

- لم يراجع بعض الألفاظ التي جمعها في معجمه، فبعضها وردت في معاجم قبله مُفسرًا إيّاها بمثل ما فُسرت في هذه المعاجم، وكان باستطاعته أن يتجاوز هذا لو أنه عاد إلى المعاجم التي أُخذت منها ليتأكد من ذلك.
- جمع في معجمه الكثير من الألفاظ العامية، والدخيلة، والمحرفة والفصيحة ما أحدث خلطاً في معجمه، لأنه لم يُشِر إلى مستوى العديد منها فلو أشار إلى هذا لتفادى هذا الخلط.
- لم يسجل الكلمات التي تتصل بالعلوم الإسلامية ومصطلحاتها في حين دوّن المصطلحات المسيحية من معجم البستاني"[1].
- اقتصر في جمع مادته على فترة زمنية معينة، وهو ما أخذه عن القدماء في صنع معاجمهم، كتلك الألفاظ التي سجلها من اللهجة السورية بخاصة ومصطلحات مسيحية دارجة عند أهل الشام.

هذه بعضٌ من المآخذ عن معجم دوزي، وهناك مآخذ أخرى سنأتي إلى ذكرها لاحقا في الدراسة التطبيقية للمعجم.

8-آراء حول المعجم:

فيما يلي ذكرٌ لبعض الآراء حول (معجم تكملة المعاجم العربية):

- يقول الأستاذ إبراهيم السامرائي في مقارنة بين عمل دوزي مع غيره، ومنهم الشدياق والبستاني: "إنَّ أول مستدرك حقيقي على المعاجم العربية، هو مستدرك دوزي، بينما اقتصر غيره – ومنهم الشدياق والبستاني– على إعادة ما في

1 نحن والمستشرقون مع دراسة تحليلية لأثر المستشرق دوزي في المعجمية العربية، علي توفيق الحمد، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، المجلد 15، 2001، ص: 24.

المعاجم القديمة. فعمل دوزي أحق بالتنويه، ومهما قيل عن مآخذه فإنها تبقى قليلة بالقياس إلى جوانب الجِدة والطرافة فيه"[1].

- يقول إبراهيم بن مراد:" قد بذل دوزي جُهدًا في جمع رصيده المعجمي المدون لا نعلم أن أحدًا من المحدثين العرب والمستعربين قد قام به. فكان الكتاب– لذلك– إضافة نفيسة إلى المعجم العربي، وفتحًا جليلاً في تاريخ المعجمية العربية، فهو أول معجم يُقر بما للغة الأمصار الإسلامية من دور في إثراء اللغة العربية..."[2].
- الدكتور رجب عبد الجواد إبراهيم: "و من نافلة القول التنويه بالعمل الكبير الذي قام به دوزي وهو المستدرك على المعاجم العربية... فقد قضى في هذا العمل سنين عديدة منقبًا وباحثًا، وعاد إلى أكثر من أربعمائة مرجع وطالع الآلاف العديدة من الصفحات المخطوطة والمطبوعة، وأتقن عددًا من اللغات حتى أخرج معجمه الذي لايزال نسيج وحده، وعلى رأس قائمة أمثاله"[3].

ربما هذه الآراء التي استقيناها لباحثين لهم صيتهم ووزنهم في الحياة اللغوية العربية لدليل قاطع على المكانة التي يلقاها هذا المعجم حاليا في الساحة الفكرية العربية والغربية على حدٍ سواء .

9-مصادر المعجم:

إن الغنى المعجمي لمعجم دوزي من حيث المادة كانت نتيجة لذلك الكم الكبير من المصادر علمية أو أدبية أو تاريخية التي اعتمدها، فقد استقرأ عددًا هائلاً من المصادر بلغ حوالي (450) مصدرًا، ينتمي معظمها إلى ما بين القرن الرابع والقرن العاشر للهجرة، ثم إن معظم مصادر نصوصه نثرية ممثلة لاختصاصات عديدة

---

1 في المعجمية العربية المعاصرة، وقائع ندوة مائوية، أحمد فارس الشدياق وبطرس البستاني ورينهارت دوزي ص: 652.

2 دراسات في المعجم العربي، إبراهيم بن مراد، ص: 216.

3 المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث د.رجب عبد الجواد إبراهيم، ص: 15.

وضروب مختلفة من المعارف، أهمها كتب التاريخ، والتراجم، والطبقات والرّحلة والجغرافية، والإجازات، والشهادات، والعقود، والقصص والأخبار والموسوعات الأدبية والمجامع، والكنانيش، وكتب الطب، والنبات والفلاحة ومدوَّنات الفقه، هذا التنوع في المصادر جعل ، ودخيلة، ومولدة وشاذة... وكان هذا انطلاقًا من تصوره في كون اللغة تتطور بتطور المجتمع فاللغات تتغير بمثل ما تتغير الأفكار، إنها تخضع لسلطان المجتمع الذي يتكلمها وهو رأيه الذي عارض به أولئك المحافظين على اللغة الفصيحة إلا أنه اعترف بتلك الأعمال التي قام بها هؤلاء من نحويون، ولغويون وفقهاء، ومتكلمون "ولكي يَحُولوا دون فساد اللغة وتدنيس قدسيتها... فقد أكثروا من وضع القواعد وتأليف المعاجم... ويجب أن نعترف أن جهودهم لم تذهب سدى، فإنهم وإن لم يستطيعوا أن يمنعوا تغير اللغة فقد استطاعوا إلى حدٍ ما أن يُؤخروا ذلك ويحصروه في حدود ضيقة "[1].

تنوعت مصادر دوزي من عربية إلى فرنسية، لاتينية، اسبانية، ايطالية واِنجليزية إلا أن هذه المصادر موزعة على نوعين:

- مصادر رئيسية: معظمها مؤلفات للمستشرقين أو تعليقات وحواشي على بعض المؤلفات العربية، وكتب التراث العربية، التي أرادها من القرون الوسطى للقرن الثالث الهجري...إضافة إلى ما أخذه عن معجم البستاني(محيط المحيط) وعددها(387).
- مصادر ثانوية: ذكرها في قائمة خاصة، وعددها(43) مصدرًا، كلها أجنبية لرحالة أجانب، وقال أنه لم يجد فيها ما يفيد المعجم، ونفهم من هذا أنها لم تكن تفد في عمله سوى القليل، وإلا فكيف يأتي على ذكرها"[2].

1 تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي، ترجمة د. محمد سليم النعيمي، ص:14.

2 نحن والمستشرقون مع دراسة تحليلية لأثر المستشرق دوزي في المعجمية العربية، علي توفيق الحمد ص:17.

ذكر دوزي في مقدمة معجمه الذي ترجمه سليم النعيمي الجزء الأول ثلاثة معاجم أُلفت في اسبانيا في القرون الوسطى، وهي معاجم أجنبية اعتمدها أساسًا وهي على التوالي:(المعجم اللاتيني– العربي) الذي تتضمنه مخطوطة ليدن رقم 231(معجم عربي–لاتيني ولاتيني–عربي) نشر في فلورنسا سنة(1874م)(معجم صنفه الأب پدرو دي الكالا في غرناطة، وطبعه فيها سنة(1505م) بالإضافة إلى معجم عربي رابع(محيط المحيط للبستاني)، وهي من المصادر الرئيسية التي اعتمدها في عمله وإلا فكيف يُخصصُ لها جانبًا كبيرًا من الحديث عنها في مقدمته فيقول: "و أذكر قبل كل شيء ثلاثة معاجم ألفت في اسبانيا في القرون الوسطى أقدمها: المعجم (اللاتيني– العربي)، الذي تتضمنه مخطوطة ليدن رقم 231، ولقد رمزت إليه بحرف ل. وقد تملكه سكاليجر الذي تسلمه من غليوم بوستل، وقد أفاد منه كتابه...و الألفاظ اللاتينية في هذا المعجم خليط عجيب من الكلمات القديمة التي لا توجد إلا عند فارون وغيره من قدماء اللغويين، وألفاظ من العصور اللاتينية الأولى، وهو لا يذكر في كثير من الأحيان مقابلها العربي، ويكثر فيه الخلط والغلط... وربما كانت أغلاط هذا المعجم أو بعضها من أغلاط الناسخ... وسيرى القارئ أن ما جنيته من ثمار هذا المعجم أقل بكثير مما جنيته من ثمار المعجمين الآخرين الذي سأتحدث عنها، ولكنها مع ذلك ثمار كثيرة... ومعجم آخر (عربي–لاتيني ولاتيني–عربي) هو الذي أشرت إليه بالرمز VOC، و هو معجم أكمل مادة وأصح صحة، وقد عني شياپاريلي به عناية كبيرة فنشره في فلورنسا سنة (1874م) معتمدًا على مخطوطة مكتبة ريكا ريانا. لقد صنف هذا المعجم في شرقي الأندلس(اسبانيا) في قطلونيا أو في مملكة اشبيلية... والمعجم الثالث هو المعجم الذي صنفه الأب پدرو دي ألكالا في غرناطة، وطبعه فيها سنة(1505م) بأمر من فرديناند تالا فيرا أول أسقف في غرناطة، وهذا المعجم من غير ريب أغنى هذه المعاجم...، ومعجم آخر يختلف في طبيعته عما ذكرت أفدت منه

أيضًا، وهو المعجم الذي طبعه بطرس البستاني في بيروت سنة (1870م) باسم (محيط المحيط)، إنه مجموع جيد ألفه اعتمادًا على بعض المعاجم القديمة، وأضاف إليه عددًا كبيرًا من الكلمات المولدة والمعاني الجديدة، كما أضاف إليه عددًا من اللهجة السورية(من كلام العامة)..."[1]

إضافة إلى هذه الكتب التي ذكرها، هناك مصادر أشار إليها في مقدمته "كمجلدات من تاريخ ابن خلدون، وكرتاس، والحلل الموشية، وتاريخ بني زيان ملوك تلمسان، وكتاب ابن الخطيب، وكتاب المعري، وتاريخ تونس للباجي(أفريقية والأندلس)،... ومختارات من تاريخ حلب نشرها فريتاج ومختارات من تاريخ اليمن نشرها رتجرز، وكذلك من مصنفات الجغرافيين والرحالة مثل: البكري، وابن جبير والعبدري وابن بطوطة، ومن الإجازات مما نشره كل من جريجوري، ودي ساسي ورينو وأماري، ومن الأمثال والقصص مثل: كليلة ودمنة، وقصة باسم الحداد، وألف ليلة وليلة في مختلف طبعاتها ونسخها المختلفة التي يفسر بعضها البعض الآخر، وقد قرأت من كتب النباتيين الكتاب المسمى بالمستعيني، وكتاب ابن بيطار، وكتاب ابن العوام الكبير في الزراعة. ومن كتب الأطباء مخطوطة المنصوري للرازي، وابن وافد وابن الجوزي، وشكوري، ومن كتب أحكام القضاء: كتاب الكباب، وكتابًا في صيغ العقود محفوظ في مكتبتنا، ثم مؤلفات، ومجموعات مختلفة مثل قسم من كتاب الأغاني نشره كوزجارتن، وكتابين للثعالبي نشر أحدهما فالتون، ونشر الآخر دييونج، وكتاب ابن بدرون، وتقويم قرطبة لسنة 961م، ومجاميع ويجرز وهوجفلايت، وميرسينج وأماري، وملر، ومختارات أدبية لسلفستر دي ساسي ومثلها اختارها كوزجارتن ومختارات لفريتاج، ومجلة الشرق، ومجلة المشرق الجزائرية، والجريدة الآسيوية

1 تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي، ترجمة د. محمد سليم النعيمي، ص:17، 18، 19، 20، 21.

الفرنسية، والجريدة الآسيوية الألمانية القديمة منها والحديثة، ويبلغ مجموع هذه الجرائد الدورية الثلاثة نيفا ومائة وسبعين مجلدا..."[1].

10- خصائص المعجم :

لاشك أن" تكملة المعجم العربية " من أهم الأعمال اللغوية التي يستعين بها الباحث في اللغة على فهم، والوصول إلى معاني ألفاظ اللغة بمستوياتها من العربية إلى الفرنسية، والكشف عن خباياها، كما يعد عملا يعطي صورة حقيقية لعالم تبحر في لغة ليست بلغته، ناهيك على أن صاحبه لم يكن مختصا في اللغة، بل كان أقرب إلى التاريخ من العربية، ومع هذا فإنه كان عالم بالكثير من أسرارها، وما يدل على ذلك تلك المزايا أو الخصائص التي انفرد بها أحيانا، واتفق فيها مع معجمين سبقوه أحيانا أخرى، ومن هذه الخصائص، خصائص خارجية، وخصائص داخلية:

- الخصائص الخارجية:

و هي التي تتصل بالشكل الخارجي للمعجم ومنها:

- جاء المعجم شاملا للعديد من الألفاظ توزعت على جزأين:

الجزء الأول حوى (864) صفحة.

الجزء الثاني حوى (855) صفحة.

- قسم صفحات المعجم إلى قسمين بعمود بارز من الأعلى إلى الأسفل، ليشكل بذلك عارضتين ثم وزَّع عليها المداخل مع مشتقاتها مرفوقة بشروحها.
- المداخل كُتبت بخط أسود واضح، ومميز، أما معانيها فتبدوا أقل منها حجما ووضوحا.
- أرقام الصفحات تتوسط الصفحة من الجهة العلوية أعلى العمود الذي قسم به الصفحة مباشرة.

---

1 تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي، ترجمة د. محمد سليم النعيمي ، ص: 25.

- الخصائص الداخلية:

لا يكاد يختلف دوزي في خصائص معجمه الداخلية عن باقي المعجمين، من حيث الطريقة أو المنهجية في العمل (المادة، الترتيب، وضع المداخل، الشرح الشواهد الرموز، الضبط)، وللإشارة فإن هذه العناصر سيتم التفصيل فيها لاحقا وما سنأتي إلى ذكره ماهو إلا حديث مختصر.

- المادة: وهي ذلك الكم من الألفاظ التراثية التي جمعها في معجمه، وأضاف إليها ما دعت إليه الضرورة من ألفاظ، توزعت ما بين ما يتصل بألفاظ فصيحة، ومولدة، ومحدثة، ومعربة، ودخيلة.
- الترتيب: لم يحِد دوزي في ترتيب المداخل عن نهج السابقين، متبعا الترتيب الألفبائي، وهو ما سار عليه كل المستشرقين.
- التعريف أو الشرح: تنوعت وسائل الشرح في المعجم (شرح كلمة بكلمة الشرح بالمرادف، الشرح بالضد، الشرح بالسياق).
- الشواهد: لم يخلو معجم دوزي التي دعّم بها معاني الألفاظ من القرآن الكريم والحديث الشريف، وكلام العرب نثره وشعره.
- الضبط.
- الرموز التي تساعد على الاختصار.

III- الدراسة التطبيقية للمعجم:

1- المادة:

يقول الباحث حلمي خليل: " نقصد بمادة المعجم، الكلمات أو الوحدات المعجمية التي يجمعها المعجمي ثم يرتبها ويشرح معناها، يُضاف إلى ذلك طريقة النطق والمشتقات، وهذه المادة تختلف من معجم إلى معجم، تبعا للهدف الذي يسعى إليه واضع المعجم...، ومعنى هذا أن مادة المعجم تضيق وتتسع أو تكون مادة لغوية خاصة أو عامة، ذلك إذا ما أخذ واضع المعجم في حسبانه لمن يوجه معجمه، وكل ذلك يدل على أنَّ مادة المعجم عنصر غير ثابت، بل تختلف باختلاف الغرض منها ومن يستعملها "[1]، ومن هذا القول يتضح أنَّ المادة هي تلك المفردات والألفاظ التي يسعى صانع المعجم لجمعها ووضعها في معجمه، والتي تختلف كمًا ونوعًا من معجم لآخر، تبعا لنوع المعجم والغاية من تأليفه، والناظر إلى معجم (دوزي) لا يجد إشكالا في معرفة أي فئة أُلِف لها هذا المعجم، فيكفي أنَّه (عربي- فرنسي)، لذا فهو موجه لتلك الفئة الناطقة باللغة الفرنسية، وبخاصة المجتمع الفرنسي.

كما عَدَّ أغلب الباحثين المادة المعجمية أولى ثلاثة أسس المعجم العربي الحديث :

- اللغة التي يؤخذ المعجم منها.
- طريقة ترتيب الكلمات وترتيب أفرعها فيها.
- الشرح الذي يقدمه وطريقته فيه"[2].

---

1 نقلا عن الفروق اللغوية في المعاجم العربية، كتاب " الفروق في اللغة"، لأبي الهلال العسكري- أنموذجا- سوهيلة درويش، جامعة مولود فرعون، تيزي وزو، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، 2011م ص: 184.

2 المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، د. أحمد أبو الفرج، دار النهضة العربية للطباعة والنشر 1966، ص: 06.

أما عن المادة المعجمية لمعجم (تكملة المعاجم العربية)، ففيها ما يميزها عن باقي المواد المعجمية كمًا ونوعًا، فمن ناحية الكمية فإن المصادر التي طالعها وبحث فيها تعكس حجم المادة التي دونها (دوزي) في معجمه، والتي بلغت (450) مصدرا ناهيك عن المقالات والبحوث التي عاد إليها، أما من ناحية نوع المادة وهو جديده الذي أضافه إلى المعجمية العربية الحديثة، وعدّه الكثير خروجا عن نهج الأولين والمتمثل في عدم اقتصاره على الفصيح فقط، بل جمع ما هو عامي ودخيل، ومعرب ومولد، وأعجمي، إضافة إلى "ألفاظ غريبة كالفرنسية واللاتينية والاسبانية، والانجليزية والايطالية ... التي استمد الكثير منها من مجموعات الألفاظ التي لحقها المستعربون فيما نشروه من كتب عربية مختلفة أو ترجموه إلى لغاتهم منها، كما استمدها من المعاجم العربية التي ألفها المستعربون من عربية، لاتينية أو اسبانية أو ايطالية أو انجليزية أو فرنسية، وما جاء من ألفاظ في كتب الرحالة الغربيين باللاتينية، والفرنسية والانجليزية، والألمانية"[1]، ومنها: الكسيني(يونانية)، التون (تركية)، أقويي (اسبانية) أفلسنية (فارسية) أفليو(لاتينية) أغلاك (بربرية).

لقد كان جديد (دوزي) هذا هو الفارق الأساسي بينه وبين المعاجم الأخرى فلوعدنا إلى المعاجم القديمة، و منذ بداية ظهورها لوجدنا أنَّ مادتها لم تخرج عن الفصيح، وهي عادة سار عليها كل القدماء، "فقد عنوا بتدوين الفصيح من ألفاظ اللغة وقيَّدوا أنفسهم في ذلك بمفهوم ضيق للفصاحة، فلم يتجاوزوا مصرا بعينه هو جزيرة العرب، وعصرا بعينه هو عصر الاحتجاج إلا قليلا"[2]، هذا عن القدماء، أما المحدثون فلم يكونوا في الغالب سوى مقلدين لهم، ولو نظرنا في أعمالهم فإنَّها لا تعدوا أن تكون صورة لأعمال من سبقوهم، يقول محمد أحمد أبوا الفرج: "هناك ظاهرة عامة واضحة

1 تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي، ترجمة د. محمد سليم النعيمي، ص:09.

2 المصدر نفسه، ص: 09.

في المعاجم العربية يجب أن نُلفت النظر إليها وهي أن المتأخرين اعتمدوا على السابقين لهم عامة إلى حد بعيد، ورغم ذلك فقد كان هناك تميز في المعاجم... ولكن الروح العامة كانت روح التقليد "[1]، وهو رأي يفنده أيضا الدكتور إبراهيم بن مراد.

إن هذا التقليد يرى فيه دوزي عيبا في معاجم المستشرقين الذين تقيدوا بما جاء في المعاجم العربية القديمة، وبالتالي حشر اللغة في عصر معين، وهذا مخالف لقانون التطور في نظره، لأن اللغة عنده كائن حي ينموا مع كل عصر، ولم يكن ليتأتى هذا التطور للغة العربية إلا بعد أن خرجت من مهدها الذي ولدت وتربت فيه أي من قطر الجزيرة العربية إلى العرب عامة، وكان ذلك في نهاية عصر الاحتجاج، لذلك راح يُدون كل الألفاظ والعبارات الجديدة التي أعطت معانٍ أخرى لكل ما هو قديم.

إن هذا التميز بجديده الذي دعا إليه دوزي جعل معجمه " يفضل معاجم اللغة العربية قديمها وحديثها في مستوى الجمع بميزات عديدة تنزله منزلة رفيعة في تاريخ المعجمية العربية، فالمؤلف قد انطلق في جمع مادته المعجمية منطلقات تختلف اختلافا جذريا عن منطلقات المعجميين القدماء والمعاصرين له"[2] إلا أنَّ ما يلاحظ على هذه المادة أنَّها ضئيلة مقارنة بما استقرأه من مصادر كثيرة، ويعود هذا لأسباب منها ما كان متعمدا كإهماله للعديد من الألفاظ والعبارات التي وردت في كتب الرحالة الأوروبيين وبعض من تلك الألفاظ التي أضافها العلماء الأوروبيون في الكتب التي نشروها أو ترجموها، وفي طليعتها تعليقات كاترمير، ومجموعة المفردات التي جمعها دي غويه، والتي رأى فيها أنها بعيدة عن الصواب، وهو ما ذكره في مقدمته، ضِف إلى ذلك تغاضيه عن ذكر بعض القضايا النحوية والصرفية "كتصغير الاسم الرباعي المقصور الذي ينتهي بألف وليس بياء في المعاجم الاسبانية، كما لم يذكر كثيرا من

1 المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، د. محمد أحمد أبو الفرج، ص:06.

2 دراسات في المعجم العربي، إبراهيم بن مراد، ص: 202.

صيغ الكلمات حين تكون معروفة، فجمع المؤنث للأسماء المؤنثة التي تنتهي بتاء التأنيث، وأسماء التصغير، وأسماء الوحدة والصفات المشبهة بـ (أن)، وكثيرا من أسماء الحرف المأخوذة من الجموع... وصيغة فعل بالتشديد المستعمل بمعنى أفعل، وصيغة الفعل المستعملة بمعنى فعل المبني للمجهول"[1]، أما السبب الثاني فهو عدم استقراءه لبعض المصادر، لأن استخدام بعضها كان عسيرا عليه كمعجم پاجني، وبوستر وهمبرت، هيلو... بسب ترتيبها حسب الأبجدية الفرنسية ما ألزمه إعادة ترتيبها حسب الأبجدية العربية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى وفي قضية الاستقراء أيضا أنَّه "لم يستقرئ من المصادر القديمة إلا المطبوع الصادر في أوروبا، والمخطوط المحفوظ في بعض مكتباتها، كما لم يهتم بالمؤلفات المشرقية إلا قليلا، فاهتمامه كله كان منصبا حول المؤلفات المغربية والأندلسية "[2]، وهذا ما يرجح فكرة أن المشرقيين الهولنديين اهتموا أكثر بتراث المغرب والأندلس أكثر من التراث الشرقي.

و من بين المصطلحات العربية التي لم يذكرها، والتي وردت في بعض الكتب التي اعتمدها مصدرا أساسيا له، ما ورد في كتاب (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) لابن محمد عبد الله ابن البيطار المالقي (ت 646هـ/1248م): "آذان الغزال"، "آكل نفسه"، "أُخشينة"، "أرادني"، "جبريول"، "خانق الذئب"، وكلها ألفاظ مستحدثة.

هذا عن المادة المعجمية لمعجم (دوزي)، والتي لم تخلوا من بعض المآخذ كما ذكرنا سالفا، هذه المادة التي جمعها من عدد من المصادر، أساسية وثانوية ركز فيها على أربعة كتب، ثلاثة منها غربية وآخر عربي لبطرس البستاني، وهو (محيط المحيط)، ولما كان (محيط المحيط) من أهم وأقل المعاجم العربية الحديثة التي اعتمدها (دوزي) في عمله، وجب علينا البحث فيما أفاده دوزي من هذا الكتاب، وقبل

1 تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي، ترجمة د. محمد سليم النعيمي، ص: 25.

2 دراسات في المعجم العربي، إبراهيم بن مراد، ص: 204.

ذلك لا بأس أن نذكر بأن (محيط المحيط) ألفه صاحبه في عام (1869م) ضمنه ألفاظا من مستويات اللغة المختلفة، وبذلك يُعد أول معجم عربي مهَّد لظهور فكرة دوزي، وهذا ما كان يحتاج إليه دوزي فعلاً، وسنحاول في هذه الدراسة التي قام بها محمد القاضي أن نركز على جانبين: أولهما مستويات اللغة والثاني المواضيع والأغراض.

1- **مستويات اللغة:** وقد صنَّفها الدكتور محمد القاضي أربعة، وهي: الأصوات والصرف، والمعجم، والتركيب.

أ- الأصوات: ما أخذه دوزي من (محيط المحيط) في هذا الجانب يتمثل في ضبط حركات بعض الألفاظ التي سجلها في معجمه غير مشكولة، فقد كان يضع المدخل المعجمي دون حركة ثم يتبعه بالطريقة التي نطق بها البستاني، مثال على ذلك: سيخ: سفوّد، وهذا هو ضبط الكلمة في محيط المحيط "[1]، ويبدوا أيضا أنَّ دوزي عند إثبات نطق بعض الألفاظ لا يكتفي بنسبة بعض الألفاظ إلى البستاني وحده فيلحقها بروايات غيره عرباً أو غرباً من مستشرقين، مثال: سماع: في معجم فوك وكذلك معجم لين وسِماع في محيط المحيط، وكذلك في معجم فريتاج غِناء: موسيقى"[2].

ب- الصرف: اعتمد دوزي في قضية الصرف أو الجانب الاشتقاقي للمداخل على ما وجده في معجم البستاني، فقد أخذ عنه الكثير من المشتقات المتفرعة عن جذور عربية وإن كان الاختلاف قائما حول نسبة بعضها إلى غيره، يقول الدكتور محمد القاضي: "و لكننا لا نستطيع الجزم في شأن هذه المشتقات أهي من وضع

1 تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي، ترجمة د. محمد سليم النعيمي، ج6، ص: 05.

2 المصدر نفسه، ص: 147.

البستاني أم أنَّه ناقل لها عن غيره، فثمَّة مشتقات منسوبة إلى "البستاني"، ولكنها معروفة قبله كـ " السَّبعيَّة والمُسبّع " و" التسّميط " إلى غير ذلك "[1].

سبع"[2]: سبعه من الخوف (محيط المحيط).

صيَّع"[3] (بالتشديد): ضيَّع الرجل عن الطريق، ضلَّ وهو من كلام العرب (محيط المحيط).

صيَّغ"[4] (بالتشديد): والعامة تقول صيَّغ الدراهم (محيط المحيط).

ربضة"[5]: ما سفل من الأرض (محيط المحيط).

هناك نقطة أخرى تتعلق بقضية الصرف، وهي الجموع، فدوزي لم يُشر في معجمه إلى جمع المفردة، بل يكتفي بالإشارة إليها حينما يأخذ جمعها من معجمات أخرى، مثال: سكوب: وجمعها سكوبات (محيط المحيط)، كما يشير أحيانا أخرى إلى الاختلاف في قضية الجموع بين البستاني وآخرين، أي يعطي للفظة عدة جموع وسند كل جمع لصاحبه.

مثال: سند"[6]: جمعه سناد وسندات (بوشر).

سند"[7]: جمعه سندات (محيط المحيط).

سند"[8]: جمعه اسناد (المعجم اللاتيني- العربي).

ج- المعجم: وقد أحصينا في حرف السين 468 مدخلاً معجميًا دون اشتقاقها ووجدنا أن دوزي قد أخذ عن(محيط المحيط) 19 مدخلاً. وقد غضضنا الطرف في هذا

1 في الصناعة المعجمية المعاصرة، وقائع ندوة مائوية، أحمد فارس الشدياق وبطرس البستاني ورينهارت دوزي ص: 393.

2 تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي، ترجمة د. محمد سليم النعيمي، ص: 22.

3 المصدر نفسه، ص: 490.

4 المصدر نفسه، ص: 490.

5 تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي، ترجمة د. محمد سليم النعيمي، ج5، ص: 68.

6 تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي، ترجمة د. محمد سليم النعيمي، ج6، ص: 164.

7 المصدر نفسه، ص: 164.

8 المصدر نفسه، ص: 164.

الإحصاء عن المداخل التي يشترك فيها (محيط المحيط) مع معاجم أو مؤلفات أخرى"[1]، هذا ما ورد في بحث محمد القاضي، وهو عدد كبير مقارنة بما أخذه دوزي من المصادر الأخرى، ولم يقتصر الأمر على الأفعال فقط ، بل الأسماء أيضًا، فمن أسماء الفاعلين "مُسَبْرِت، ومن أسماء المفعولين "مُسملَق"، ومن الصفات "سنَهِيّ" و"سوْطَرِيّ"، ومن الأسماء "سِيكَه" و"سِيكَاه" و"سبَانِخ"، ولربما هذه دلالة قاطعة على المكانة التي انفرد بها (محيط المحيط) في معجم التكملة لدوزي.

د- التركيب: إن تركيب الألفاظ في الجمل له قيمة بالغة، إذ توضع المفردة في حقل دلالي يُمكّننا من بلوغ المعنى الحقيقي والدقيق للألفاظ، وهذا ما عمد إليه دوزي أما عمَّ أخذه من (محيط المحيط) فهو من ثلاثة مصادر:

القرآن الكريم: الآية(ولا تخشوا الناس واخشوني) (محيط المحيط).

الشعر: قول الشاعر:

وننكر إن شئنا على الناس قولهم

ولا ينكرون القول حين نقول(محيط المحيط)

الأمثال: (ما على المحسن سبيل) (محيط المحيط).

هـ- المواضيع: كان الهدف من تأليف معجم دوزي هو جمع الألفاظ التي ظهرت في العصر الوسيط والحديث، ثم يعطيها تعريفات بالفرنسية، وهو مبدأه في هذا العمل، لأن عمله كان في الحقيقة موجهًا للفرنسيين بالدرجة الأولى إلا أنه كان لا يجد لبعضها مقابلاً بالفرنسية، لذا كان يعطيها مفاهيمًا من مصادر أخرى وينسبها إلى الكتاب الذي أُخذت منه، وهي متعددة بتعدد لغاتها كاللاتينية والإسبانية،

1 في الصناعة المعجمية المعاصرة، وقائع ندوة مائوية، أحمد فارس الشدياق وبطرس البستاني ورينهارت دوزي ص: 343.

والإِنجليزية، وغيرها، وما أخذه من ألفاظ (محيط المحيط)، فتعاريفها على ثلاثة أضرب:

- ما نجده معرفًا بالفرنسية كـ" سبّ" و" مسبوع".
- منها ما نجده معّرفًا بالعربية كـ" انسحق"، "انكسر وتذلّل" و"سطم السيف" (جعل له سِطاما) و" مسِترةُ اللّحاف" (الطّاق الذي تحت الملحفة).
- و منها ما نجد تعريفه بالعربية مردفًا بترجمة فرنسية كـ" سباسيب الشّعر" Les bonts de cheveux qu'on laisse pendre (أطرافه المسند له) و"سجسٌ" querelle (شغب)"[1].

2- **المداخل:**

هي الكلمات أو العبارات أو الحروف التي يجمعها المعجمي قصد إعطاءها شروحًا ومعانٍ، تكتب بخط واضحٍ خشن وبارزٍ غالبًا حتى تُميز عن المداخل الفرعية التي تأتي بعدها (المشتقات)، وقد "يفهم من كلمة مدخل ما يدُخل به أو منه أو ما ننتقل عبره... وعليه يمكن تحديد المدخل بعيدًا عن التحديدات المصطلحية أنَّه عناوين يضعها المؤلف في المعجم، وقد تكون كلمة أو عبارة أو حرفا لغاية واضحة..."[2]، وقد عرَّفها الباحث ابن حويلي ميدني "أنها من المصطلحات الحديثة التي تدل على موضع الابتداء والافتتاح... لكل ما يصحُّ منطلقا للشروع في عمل ما، ويشير إلى كلمات مميزة خطيًا بخط خشن غالبًا توضع على رأس المقال لتصير له عنوانًا مقصودًا بالقول الشارح الذي يأتي بعدها، وهي في المعاجم (عمومًا)، ويُعرف عنه صفة الغموض

1 في الصناعة المعجمية المعاصرة، وقائع ندوة مائوية، أحمد فارس الشدياق وبطرس البستاني ورينهارت دوزي ص: 347.

2 الفروق اللغوية في المعاجم العربية، كتاب " الفروق في اللغة"، لأبي الهلال العسكري– أنموذجا– سوهيلة درويش، ص: 191.

وهو في حكم المبهم، باعتبار أن المستعمل يجهل معناه أو هو في حاجة إلى التدقيق فيه، أو الاستزادة منه أو الاحتكام إليه"[1].

أما عن مداخل معجم دوزي، فقد جاءت بصيغة الفعل الماضي مجردة ومزيدة وبصيغة الأسماء مجردة ومزيدة أيضًا، موزعة على (28) حرفًا: حرف الهمزة، حرف الباء والپاء، حرف التاء، حرف الثاء، حرف الجيم، حرف الحاء حرف الخاء، حرف الدال، حرف الذال، حرف الراء، حرف الزاي، حرف السين حرف الشين، حرف الصاد حرف الضاد، حرف الطاء، حرف الظاء، حرف العين حرف الغين، حرف الفاء، حرف القاف، حرف الكاف، حرف اللام، حرف الميم حرف النون، حرف الياء، حرف الهاء حرف الواو.

و تظهر هذه المداخل مرتبة ترتيبًا ألفبائيًا، وهذا لتأثر دوزي ببناء المعجم قديمًا وحديثًا، إذ نجده قد سلك نهج المعاجم العربية في هذا، لذا فإنها تظهر مجردة من الزوائد، أي دون حروف زيادة، لا في الأفعال ولا الأسماء على النحو التالي:

الأسماء:

- حرف الهمزة (آثو، آرخاس، آخور، آرغيس...)
- حرف الباء (باب، بابا، بابا زي، بابا نومو...)
- حرف الضاد (ضامَّة، ضأن، ضبي، ضباب...)

الأفعال:

- حرف الهمزة (أبد، أبر، أبش، أبق...)
- حرف الباء (بأس، بتّ، بتبت، بَتخَ...)
- حرف الضاد (ضبّ، ضبر، ضبط...)

1 نقلا عن الفروق اللغوية في المعاجم العربية، كتاب " الفروق في اللغة"، لأبي الهلال العسكري- أنموذجا- سوهيلة درويش ، ص: 191، 192.

إلا أنَّ هذا العمل يحتاج إلى دراية وعلم بأصول الكلمات، لأنَّه لا ينجح مع الكلمات التي لا تخضع لقواعد العربية كالأعجمية مثلاً، وهذا ما يفتقر إليه دوزي فقضية وضع المداخل تحتاج إلى تمكن في قواعد الصرف حتى يسهل على صاحب المعجم القيام بعمله بطريقة سلمية، وبما أنَّ معجم دوزي جاء معجمًا شاملاً لجميع الألفاظ دون استثناء، فإن وضع المداخل أوقعه في اضطراب عند معالجته لتلك الألفاظ الغير الفصيحة كالأعجمية، والعامية، والمعربة، لذا نجده يخرج عن هذا النظام في العديد من المرات، خاصة عند وضع المشتقات تحت الجذور (المداخل الفرعية)، فنجده يضع ألفاظًا أعجمية وأخرى بداية حروفها أعجمية، وأحيانًا ألفاظًا عامية تحت جذور عربية، ما نتج عنه خلط في هذا الجانب، وحتى يتفادى هذا المشكل وضع مداخل خاصة بالألفاظ الأعجمية، وأخرى خاصة بالألفاظ العامية وهكذا، لذا جاءت مداخله متنوعة.

- مداخل أعجمية:

أأكثار (بربرية)	1/ج1.
تخبوش(فارسية)	142/ج1.
قرباج(اسبانية)	324/ج2.
ساعري(تركية)	621/ج2.

- مداخل عامية:

اسطا	21/ج1.
اليّ	35/ج1.
اهنا	43/ج1.

- مداخل الكلمات المعربة:

اسفيل (معربة من الإِيطالية) 22/ج1.

اشبلط (معربة من اليونانية) 24/ج1.

أمنق (معربة من اللاتينية) 39/ج1.

بابونج (معربة من اليونانية) 47/ج1.

و تحت كل مدخل رئيسي تأتي المداخل الفرعية المشتقة من المدخل الرئيسي وتكون أفعالاً وأسماءً، أما عن المداخل الرئيسية للأسماء فإن دوزي قد وضع لها اشتقاقات مع أنه لا يشتق منها في الغالب، ومن ذلك: (أَبار)[1] بالفارسية (آبار) مشتقاتها التي وردت تحتها: أَبَّار، أَبَّارة، مَئْبَر، مَئْبَرة.

3- الترتيب:

و هو ثاني الأسس التي يقوم عليها المعجم، ونعني به ترتيب مواد المعجم وفق نمط معين من تلك الأنماط المتعارف عليها، إما الترتيب الصوتي أو الترتيب الهجائي أو الترتيب الألفبائي، والترتيب الأخير هو المتبع عمومًا خاصة في المعاجم الحديثة، يقول الباحث حلمي خليل: "هو ترتيب المداخل وترتيب المشتقات في المعاجم اللغوية تحت الجذر الواحد أو المدخل الواحد ويتمثل ذلك بعد ترتيب المداخل في وضع الكلمات والمشتقات أيّها يأتي أولاً وأيّها يأتي تاليًا ويتفق علماء المعاجم على أن ترتيب المشتقات تحت مدخل ما لا بد أن يخضع لنظام عام في المعجم اللغوي بأكمله حيث ترتيب الأفعال والأسماء، والصفات وبقية المشتقات الفعلية أو الاسمية مثلاً طبقًا لقاعدة تقول: إنّ المعاني أو

---

1 Dozy (Reinhart), Supplément aux Dictionnaires Arabes, Librairie Orientale et Américaine, Maisonneuve frères, 3 rue du sabot, Paris, 2ème édition,1927, P :02/V01 .(copie PDF).

الدلالات الحسية تأتي قبل الكلمات المجازية وهكذا ومعنى ذلك أنَّ الأفعال تأتي قبل الأسماء، والصفات بعد الأسماء، وفي جميع الأحوال لابد أن يخضع الترتيب الداخلي تحت المدخل الواحد لنظام ثابت مما يسهل على المستعمل للمعجم أن يعثر على ما يريد بسهولة ويُسر"[1].

نفهم من هذا أنَّ الترتيب نوعان: ترتيب خارجي يختص بترتيب المداخل أو الجذور، وترتيب داخلي وهو ترتيب المداخل الفرعية (المشتقات) تحت الجذور بداية بترتيب الأفعال ثم الأسماء ثم الصفات، وهو ترتيب سار عليه دوزي في معجمه، لذا لا نجده قد حاد عن أقرانه من المستشرقين والعرب المحدثين، وإن لم يكن ذكر هذا في مقدمته، لكنه واضحٌ في معجمه، مع أنه حاد عنه أحيانًا خاصة عندما يتعلق الأمر بالمشتقات، إلا أن ّهذا الترتيب لم يكن صالحًا معه في كل الحالات، كما ذكرنا ذلك في حديثنا عن المداخل، ويرى كل من الدكتور محمد سليم النعيمي، وإبراهيم بن مراد أن هذا الترتيب الذي اعتمده دوزي قد أوقعه في الخطأ والاضطراب، فخرج عنه نظرًا لمشكلات في الجذور، يقول إبراهيم بن مراد: "قد أوقعه هذا الصنف من الترتيب في أخطاءٍ كثيرة كان البعض منها فادحًا، فالقسم الكبير من المادة المعجمية التي دونَّها لا يخضع لقواعد العربية الفصحى، ولذلك كان إخضاعه للترتيب بحسب الجذور اعتباطيا"[2].

أ- ترتيب المداخل:

كما ذكرنا سالفًا فإن دوزي لم يحِد في ترتيب مداخل المعجم عن الطريق المعتاد في هذه العملية، إذ نجده اتبع الترتيب الألفبائي، جاعلاً الفعل الماضي المجرد بداية

1 الفروق اللغوية في المعاجم العربية، كتاب " الفروق في اللغة"، لأبي الهلال العسكري- أنموذجا- سوهيلة درويش، ص: 198.

2 دراسات في المعجم العربي، إبراهيم بن مراد، ص: 208.

المدخل، ثم المزيد بحرف ثم بحرفين ثم بثلاثة ثم بأربعة، فحصل على الثنائي والثلاثي، والرباعي، وبعد الأفعال تأتي الأسماء التي تختلف باختلاف مستويات اللغة التي أُخذت منها، وقبل أن نعرض نماذجًا عن ترتيب المداخل تجدر الإشارة إلى أن دوزي في ترتيبه قدَّم الثنائي المضعف عن بقية الأفعال التي تقع قبله في الترتيب، وهو ما قام به فلوجل في كتابه (نجوم الفرقان في أطراف القرآن) وأرنت فنسنك في كتابه (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي)، ولربما كان ذلك بسبب ضنهم أنَّ الحرف المضعف هو حرف واحد، ومن أمثلة ذلك:

- معجم التكملة:

قدّم (برّ) على (برا).

قدّم (بزّ) على (بزر).

قدّم (خبّ) على (خدج).

قدّم (ذبّ) على (ذبا).

قدّم (مسّ) على (مست).

- معجم فلوجل:

قدّم (رتّ) على (رتبَ).

قدّم (لجّ) على (لجأ).

قدّم (برّ) على (برأ).

قدّم (جلّ) على (جلت).

- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي:

قدّم (أنّ) على (أنين).

قدّم (جسّ) على (جسد).

قدّم (كلّ) على (كلأ).

قدّم (مسّ) على (مستقة).

- نماذج عن ترتيب المداخل: فيما يلي أمثلة لبعض المداخل التي سنوردها كما جاءت في المعجم:
- مداخل الأفعال:
  - حرف الباء: بأس، بتر، بَجعَ، بجغ، بجم، بجن، بحّ، بحبح، بحتر بحجر، بجشش، بجلق.
  - حرف الجيم: جبأ، جبجب، جبح، جبخ، جبل، جبن، جرب، جربز جرج، جرجر.
  - حرف الخاء: خبأ، خبث، خبل، ختب، ختر، خترف،ختن، خثر خثرف.
  - حرف السين: سأل، سأم، سبق، سبج، سبس، سبسب، ستر، ستمر.
  - حرف الضاد: ضأن، ضبر، ضبط، ضبع، ضرع، ضرط، ضرغط ضرغم، ضرف، ضرم، ضرن، ضعضع.
- مداخل الأسماء:

المثال 01:

- حرف الهمزة:

آرغيس	أدر	أذن
آرقان	أدو	أذن الجدي
آركان	اذريون	آذان القسيس
آفراج، أفراج،أفراق، افرق، افراج، أفراچ.	آذق	أذن النعجة

المثال 02:

- حرف الباء:

باب	بابوج	بابونج	بلبشة
بابا	پاوزة	بابي	بطرس
بابا زي	پَرتِقيرَ	باد هنج أو بادنج	بِطْرَساليون
پاپاهيغو	بلبَز	پالوزة	بطرشيل وبطرشين
بابلي	بلبشيخ	بلبل	بطرق

المثال 03:

- حرف الجيم:

جاركون	جاموس	جردق وجرزق، جردقة،جرذقة	جِرِوِيا
جأف	چبقن	جرذون	چكال
جاليش	چخجور	كَّزْونَّش	جلسين أو كلسين

المثال 04:

- حرف الفاء:

فابش	فراموش	أفيأن	فراسيون الماء فرتيت
فأر	الفرانقون	فنورقي	فرشخانة
الفازانية	فرتيت	فرادينج	فستان
فأس			

المثال 05:

- حرف الميم:

ماديس	المحبسطي، المجِستي، المجُستي	الموز المورياني	ميبخوشة
مالتحونيا	مهيص	موزيكا	ميوبزج
مانستار	مهيم	الدواء المياهياني	

المثال 06:

- حرف النون:

نارياج	نخشوش	نخصص	نَمَكسود
ناس طوس	نَمُونة	نخع	الحجر النيفي
نانة	القمح النورسي	نخل	نيمرشت
ناوك	نوروز	المرهم النخلي	نيني

- **دراسة تحليلية:**

من الأمثلة السابقة أصبحت لدينا صورة واضحة عن تلك الأفكار التي طالما تحدثنا عنها نظريًا فقط عن عمل دوزي، والتي تخص كيفية ترتيبه أو الطريقة التي اعتمدها في ترتيب مداخله، سواء مداخل الأفعال أو مداخل الأسماء، لذا سنقف على هذه الأفكار انطلاقًا من الأمثلة المقدمة سالفًا.

- مداخل الأفعال: لقد اتضح لنا كيف قام دوزي بترتيب مداخل معجمه، فبعد جمع مادة المعجم، قام بوضع مداخل الأفعال على طريقة سابقيه، إذ نجده وضع كل الأفعال المبدوءة بحرف الهمزة تحت حرف الهمزة (أبد، أبش أتى أثم، أدب، أدو، أدى، أدر، أدو،...) ثم وضع الأفعال المبدوءة بحرف الباء تحت حرف الباء (بأس، بتر،... بجح، بحتر) ثم وضع الأفعال المبدوءة بحرف الخاء تحت حرف الخاء (خبأ، خبث، خثر، خثرق)، وسار على هذا النهج إلى آخر حرف في الترتيب الألفبائي، حرف الياء، مراعيًا في ذلك عدد حروف الفعل، منها الثنائي، الثلاثي ثم الرباعي، ويكون بهذا قد اتبع الترتيب الألفبائي، الذي وُفِق فيه إلى حد بعيد.
- مداخل الأسماء: لم يكن عمل دوزي في وضع مداخل الأسماء موفقًا كوضعه مداخل الأفعال، بل كان النُقص واضحًا فيه، وهو ما جعل معجمه يَعُجُ بالأخطاء تارة، والخلط تارة أخرى، لعدم تقيده بالطريقة التي دعا إليها حينًا

والإهمال والإغفال أحيانًا أخرى، وجهله بقواعد اللغة العربية، وبعد تتبعنا واطلاعنا على المعجم اتضحت لدينا أمور، عديدة تُعدُ بمثابة سقطات دوزي في عمله، وقد سبقنا الدكتور إبراهيم بن مراد في الحديث والتعليق عنها وعدَّها أخطاءً في الكتاب.

أ- تعدد المداخل بعد المدخل الرئيسي:

و معنى ذلك أننا نجد لمدخل واحد مداخل عديدة تلي المدخل الرئيسي يفصل بين المدخل والآخر إما بفاصلة أو حرف (أو) أو حرف (الواو)، ومن ذلك: (آفراج، أفراج، أفراق، أفرق، افراج، أفراچ) تحت حرف الهمزة (بادهنج أو بادنج) تحت حرف الباء، و(بطرشيل، بطرشين) تحت حرف الباء، (مارستان مازستان) تحت حرف الميم، وتكمن المشكلة في تعدد هذه المداخل أن دوزي لم يعطي كل هذه المداخل معانيها، بل يكتفي بأشهرها فقط، أما البقية فإما يهملها أو يُحيل بعضها إلى مصدر التعريف، "بادهَنْج أو بادنج: أنبوب شبيه بأنبوب الموقد أو المدفأة يتخذ للتهوية (بوشر، ابن بطوطة 2: 300، ألف ليلة وليلة برسل 2: 127، 132 الخ، وماكن 1: 201 وفيه بادهنج إلى جانب المطبخ"[1].

ب-وضع ألفاظ بداياتها حروف أعجمية تحت الحروف العربية:

ومن ذلك (پاپاهيغو، پاين، پالوزة، پرتقيَر)، تحت حرف الباء (چبقن چخجور، چكال) تحت حرف الجيم، هذا الخلط الذي وقع فيه دوزي يرى فيه الدكتور إبراهيم بن مراد تعسفًا في اخضاعه الحروف الأعجمية الصرفة للنظام الصوتي العربي دون مراعاة خصائص النطق والكتابة الدخيلين على العربية وحتى يتجنب هذه السقطة كان من الواجب عليه أن يضعها في أبواب مستقلة لها تحت حروف جديدة مستحدثة في العربية، فيُحسب عملاً جديدًا له في مسيرة المعجمية العربية، لكن بهذه الطريقة فإن هذا العمل يُحسب عليه.

1 تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي، ترجمة د. محمد سليم النعيمي، ج1، ص: 227.

ج- وضع الجذور الوهمية:

هفوة أخرى وقع فيها دوزي في قضية الترتيب، حين وضع جذورًا وهمية لألفاظ أعجمية لاشتغالها في العربية، ويقول إبراهيم بن مراد في هذا: "دفعت المؤلف رغبته في الترتيب بحسب الجذور اقتفاء لآثار القدماء إلى وضع جذور وهمية لألفاظ أعجمية ليس لها بظاهرة الاشتقاق في العربية بصلة، بل إن من الجذور الوهمية ما هو ناتج عن محض الخطأ في تصور الأصل العربي للفظ المشتق، وهذا المظهر الثاني مرفوض كليًا لأنه قائم على خطأٍ، أما المظهر الأول فيمكن أن يغتفر لمعجمي عربي قديم يصعب عليه التمييز بين الأعجمي الخالص والعربي الخالص، فيشتق من العربي الأعجمي تعسفًا، لكنه لا يغتفر لمعجمي محدث مثل دوزي عارف بأصول الألفاظ الأعجمية، عليم بأصول الاشتقاق في العربية"[1].

ومن أمثلة ذلك: ("بطرق"[2]،"بطرك"[3]،"بلظ"[4]،"طجل"[5]).

د- الخطأ في الترتيب الألفبائي:

كنا فيما سبق قد أشرنا إلى أن دوزي لم يتقيد بالترتيب الذي رسمه لمعجمه حيث أنه لم يلتزم به في جميع المداخل الرئيسية لمعجمه، فقد حاد عنه بين الفينة والأخرى، وقد ميز فيه إبراهيم بن مراد خطئآن: " أولهما نتيجة الغفلة، وثانيهما للإهمال وعدم التقيد بمنهج دقيق"[6]، أما الخطأ الأول فيتجلى في تقديم أو تأخير

1 دراسات في المعجم العربي، إبراهيم بن مراد، ص: 211.

2 Dozy (Reinhart), Supplément aux Dictionnaires Arabes, P :94/V01.

3 المصدر نفسه، ص: 94.

4 المصدر نفسه، ص: 122.

5 Dozy (Reinhart), Supplément aux Dictionnaires Arabes, P :27/V02

6 دراسات في المعجم العربي، إبراهيم بن مراد، ص: 208.

الألفاظ المفردة التي جعلها مداخلاً رئيسية، فإما أنَّه قدّمها عن موقعها الصحيح أو أخَّرها عنه، ومن أمثلة ذلك ما ورد في المثال الأول من حرف الهمزة، حين ذكر "آذاق" بين " أذريون" و" أذن"، المثال الثاني من حرف الباء: ذكر "بابونج" قبل "بابون"، وفي نفس المثال من حرف الباء حين ذكر "بلبشة" بعد "بلبل".

و الخطأ الثاني في وضعه مداخل مركبة بحسب الحرف الأول من الجزء الثاني من هذا المدخل، وهو بذلك يجعل الجزء الثاني من المدخل مدخلاً رئيسيًا ومن أمثلة ذلك ما ورد في المثال الخامس حين وضع " الموز المورياني" و"الدواء المياهياني" تحت حرف الميم، وفي المثال السادس حين وضع "المرهم النخلي" و"القمح النورسي" و"الحجر النيفي" تحت حرف النون، ومن الأخطاء أيضًا التي لم يتطرق لها إبراهيم بن مراد، وضع كلمات بداية حروفها لا يوافق الجذور التي وضعت تحتها، ومن ذلك المثال الثالث في وضع كلمة "كَّزْونَّش" و" كَرِكَاع "[1] تحت حرف الجيم.

ب- ترتيب المداخل الفرعية (المشتقات):

يأتي ترتيب المشتقات أو المداخل الفرعية في المرحلة الثانية بعد ترتيب المداخل الرئيسية، والذي سلك فيه دوزي مسلك الغربيين بادءً بالفعل المجرد ثم المزيد ماضيًا كان أم مضارعًا، ثم الأسماء، لكن دوزي لم يلتزم بهذا الترتيب في العديد من المرات، إذ نجده يخرج عنه في أحيانًا كثيرة، ليس هذا فحسب، بل نجده يضع مداخلاً فرعية أعجمية، وعامية تحت مداخل عربية.

1 Dozy (Reinhart), Supplément aux Dictionnaires Arabes, P :181/V02.

- نماذج عن ترتيب المداخل الفرعية:

وفيما يلي أمثلة توضيحية عن ذلك:

المثال الأول: (أدب)[1]		المثال الثاني: (أخو)[2]	
الأفعال	الأسماء	الأفعال	الأسماء
أدب	أدب	أخو	خوني
أدَّب	الأدب	أخَّى	خونية
تأدب	مأدبة	أخ	أخوية
استأدب	مأدوب	أخو	أخوّة
	أدبخانة	أخى	آخية

المثال الثالث: (برل)[3]		المثال الرابع: (برم)[4]	
الأفعال	الأسماء	الأفعال	الأسماء
برل	برلان	بَرَمَ	بُرمَا
	برولة	برَّم	بُرمَة
		تبرَّم	برمون
		انبرم	بَرام
		بَرَمَ	بُرام
			بَريم
			بريمة
			برَّام
			مُبرم
			مَبروم

1 Dozy (Reinhart), Supplément aux Dictionnaires Arabes, P :14/V01.

2 المصدر نفسه، ص: 13.

3 المصدر نفسه، ص: 77.

4 المصدر نفسه، ص: 77.

المثال الخامس: (دبق)[1]	
الأفعال	**الأسماء**
دبقَ	دبقيّ
يدبقُ	دَبُوقِيَّة

- **دراسة تحليلية:**

1-ترتيب المشتقات:

تُبين الأمثلة السابقة المنهج الذي اعتمده دوزي في ترتيب المداخل الفرعية (المشتقات)، ففي المثال الأول من حرف الهمزة، كلمة (أدب) بدأ بالفعل الماضي المجرد (أدب) ثم الماضي المزيد بحرف(أدّب) ثم الماضي المزيد بحرفين(تأدب) ثم الماضي المزيد بثلاثة أحرف (استأدب)، دون ذكر الفعل المضارع، وبعدها الأسماء بداية بالصفة المشبهة (أَدَبْ)، و(أَدْبْ) ثم اسم المفعول (مأدوب)، وهو نفس النهج الذي فعله في المثال الرابع مع ذكر الفعل المضارع هذه المرة، فبدأ بالفعل الماضي (دبقَ) ثم المضارع (يدبقُ)، وبعدها الأسماء (دِبق) ثم (دبقيّ) ثم (دَبُوقية)، لكن دوزي قد خالف هذا الترتيب، ويتضح هذا في المثال الخامس تحت حرف الباء في كلمة (برم)، فنجده ذكر الماضي المجرد (بَرَمَ) ثم الماضي المزيد بحرف (بَرَّمَ) ثم الماضي المزيد بحرف على وزن أفعل (أَبْرَمَ) ثم الماضي المزيد بحرفين (تبرَّم) على وزن تفعَّل ثم الماضي المزيد بحرفين (اِنبرم) على صيغة اِنفعل، ليعود من جديد إلى الماضي المجرد مرة أخرى (بَرَمَ)، وبهذا يكون قد قدم الفعل الثلاثي المزيد بحرف، والفعل المزيد بحرفان على الفعل الثلاثي المجرد، وهي ظاهرة تكررت كثيرًا في ترتيب المشتقات.

---

1 Dozy (Reinhart), Supplément aux Dictionnaires Arabes, P :424 .

2-وضع ألفاظ أعجمية وعامية تحت جذور عربية:

ما يلاحظ على الجذور الفرعية (المشتقات) التي تأتي بعد المداخل العربية لم تكن كلها عربية، بل كان يتخللها مداخل أعجمية وعامية، ومن ذلك ما ورد في المثال الأول (أدب) كلمة "أدبخانة"، وهي كلمة فارسية الأصل، والمثال الثالث (برَلَ) كلمة "برلان"، وهي كلمة فرنسية، ومما لم يرد في هذه الأمثلة كلمة "أُنسَة"[1]، وهي كلمة إسبانية تحت (أَنَس)، وكلمة " بُرن" و"بِرْن"[2]، وهي كلمة إسبانية أيضًا تحت "بَرنَ"، أما الكلمات العامية التي وردت تحت الجذور العربية فمنها ما ورد في المثال الثاني، كلمة " خوني" التي جاءت تحت "أخو"، وكلمة "برْكة"[3] تحت "بَرَكَ".

4- الشرح:

يأتي الشرح أو التعريف ثالث الأسس في بناء المعجم، وهو إعطاء مفاهيم ومعانٍ واضحة لتلك الألفاظ والمفردات التي تم جمعها وترتيبها، ويعد الشرح مطلب الباحث عن معاني الألفاظ، لذا وجب أن تكون هذه المعاني بعيدة عن الغموض والإبهام حتى لا ينفر منها القارئ، " ويمكن التعبير عنه بتوضيح الشيء المبهم أو تقريبه من ذهن القارئ "[4]، ويقول الدكتور حلمي خليل: " إن المقصود به شرح المعنى أو بيان دلالة الكلمة أيًا كان نوعها، ويتفق علماء اللغة والمعاجم قديما وحديثا، على أن يكون هذا الشرح أو التعريف بالمعنى واضحا لا لبس فيه..."[5]، ولأجل هذا عكف صانعوا المعاجم تقديم شروح لتلك الألفاظ والكلمات التي حوتها معاجمهم، وبالوسائل

---

1 Dozy (Reinhart), Supplément aux Dictionnaires Arabes, P :41..

2 المصدر نفسه، ص: 78.

3 المصدر نفسه، ص: 76.

4 الفروق اللغوية في المعاجم العربية، كتاب "الفروق في اللغة" لأبي الهلال العسكري –أنموذجا–، سوهيلة درويش ص: 202.

5 نقلا عن الفروق اللغوية في المعاجم العربية، كتاب "الفروق في اللغة" لأبي الهلال العسكري –أنموذجا– سوهيلة درويش، ص: 23.

المتاحة لديهم، مُراعين في ذلك البساطة والوضوح، ومن الوسائل المعتمدة لهذا الغرض: الشرح بالترجمة، وهي على ثلاثة أقسام (الشرح بكلمة واحدة، الشرح بالمرادف، الشرح بأكثر من كلمة، والشرح بكلمة إلى كلمة من لغة أخرى)، شرح كلمة بضدها، الشرح بالسياق.

أمَّا عن الوسائل التي اعتمدها دوزي لشرح ألفاظه فتبقى متفاوتة من كلمة إلى أخرى، "فهو لم يجر على نسق واحد في شرح معاني الألفاظ وتفسيرها، فبينا تراه حينا يفصل كل التفصيل في تفسير بعض الألفاظ، ويأتي من نصوص مختلفة لذلك نراه حينا آخر يوجز كل الإيجاز، فيكون تفسيره لها مجملا لا غناء فيه، وكثيرا ما يكتفي بذكر ما يقابلها بالفرنسية، وأحيانا قليلة ما يقابلها باليونانية أو اللاتينية أو العبرية فقط، بل يكتفي بأن يفسر بعض الألفاظ بقوله: صنف من الطير، أو صنف من السمك، أو حيوان أو نبات لا يزيد على ذلك شيئا[1]"، ويُفهم من هذا القول لمحمد سليم النعيمي أن دوزي سلك عدة وسائل في شرحه، لا تكاد تخرج عمَّ ذكرناه سابقا كما يبقى هذا الشرح متفاوتا من كلمة إلى أخرى، فنجده يغني بعضا منها بالمعاني بعد عرضها في سياقات عديدة، ومن ذلك " رتب "[2]، " رجع "[3]، " رسم "[4] وألفاظ يكتفي بإحالتها إلى مواضع أخرى، إما إلى معاجم أُخذت منها أو إلى مواد أُخرى، بل يكتفي في شرح بعضها بإيراد أصلها فقط، والبعض الآخر يقتصر على إعطاء ما يقابلها في لغة أخرى، عندما لا يجد لها معنى من لغته.

هذا عن وسائله في الشرح، وفيما يلي سنورد بعضا مما جاء في المعجم حتى تتضح الرؤية أكثر، ونشير إلى أن هذه النماذج ستكون منقولة من معجم دوزي مرفوقة

1 تكملة المعاجم العربية، رينهارتدوزي، ترجمة د. محمد سليم النعيمي، ج1، ص: 227.

2 Dozy (Reinhart), Supplément aux Dictionnaires Arabes, P :506/V01.

3 المصدر نفسه، ص: 511.

4 المصدر نفسه، ص: 526.

بترجمتها التي قام بها محمد سليم النعيمي لعمل دوزي، وإن كانت هذه الترجمة تبقى متفاوتة من شخص لآخر، لأن الترجمة في ذاتها تختلف من مترجم إلى مترجم آخر خاصة عندما يتعدى المعنى الكلمة الواحدة، أي عندما يكون شرح الكلمة هو عبارة أو جملة.

أ- الشرح بالترجمة: التفسير بالترجمة، وهي " أن تفسر الكلمة بكلمة أخرى من اللغة نفسها أو بأكثر من كلمة أخرى من اللغة نفسها "[1].

- الشرح بكلمة واحدة: وهو أن تفسر الكلمة بكلمة مماثلة لها، ومما ورد في المعجم من هذا الشرح، ما يلي:

أبش:	تأبش إليه: تجمع إليه (معجم البيان).	ج1/67
03/v1	Ve. إلى. P.se réunir auprès de quelqu'un, Gl.Bayân.	أبش
تاك:	تلك (بوشر)	ج2/13
139/v1	Celle_là, Be(Eg.).	تاك
تِبغ:	تتن (محيط المحيط)	ج2/21
141/v1	Tabac, M	تبغ
كحَّ:	سعل (بوشر)	ج9/40
446/v2	Tousser, Be.	كحَّ
ماصة:	خيط (شيرب)	ج10/10
565/v2	FiCelle, Cherb	ماصة

1 المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، د. أحمد أبو الفرج، ص:106.

- الشرح بالمرادف:

77/v1 بركل– Agiter, ébranler, secouer, Be. I
II être agité, rouler (être agité par les vagues), Be

بركل ج1/308

بَرْكَلَ: حرك، هز، قلقل، رج (بوشر)

140/v1 تَبَرْنَة– (roman) taoerne, auberg, hbrt188, Ht

تَبَرْنَة ج18/02

خان، نزل، فندق (همبرت 188، هلو)

64/v1 مُتَبَرْبِر– Barbare, sauvage, grossier, Be.

متبربر ج1/271

بربري، وحشي، همجي، جلف (بوشر)

571/v2 محمح– I hennir, Ht

محمح: حمحم، صهل (هلو) ج10/23

- الشرح بأكثر من كلمة: وهو أن تفسر الكلمة بعبارة.

01/v1 آرغيس– (berb) l'écorce de la racine de l'épine–vinette; – l'épine–vinette même ou un arbuste qui lui ressemble, GI.Esp

آرغيس ج1/61

(بربرية) قشر شجرة برباريس

شجرة البرباريس، أو شجيرة تشبهها (معجم الاسبانية)

79/v1 بَرَنْبَج– «belle plante à larges feuilles, » Riehardson central I, 180.

بَرَنْبَج ج1/315

نبات حسن عريض الورق (ريتشاردسن سنترال: 180)

-ثُؤْلُولَة verrue, poireau, Be. 156/v1

ثُؤْلُولَة ج2/90

بثرة صغيرة صلبة مستديرة تظهر على الجلد (بوشر)

- الشرح بكلمة من لغة أخرى: وهو أن تفسر الكلمة بكلمة من لغة أخرى.

-أبو دياقن Ŭπodιάxovoc, Fleicher Gl. 106. 107/v1

أبو دياقن ج1/78

هو ubodiaxonov باليونانية (فليشر معجم 106)

- أذني الشيخ umbilicushorizontalis, praxR.d.O.A. VIII, 208. 15/v1

أذني الشيخ ج1/101

هو: umbilicushorizontalis (براكس مجلة ش ج، 8: 280)

ب- الشرح بالإحالة: وهو توجيه الباحث إلى موقع آخر ورد فيه معنى الكلمة باستخدام (أنظر، راجع)، (voyer)، وهو بنسبة كبيرة في المعجم.

-أذريون voyer sontheimerBait. I 582,n4. 15/v1

أذريون ج1/97

(راجع سونثمير بيطار 1: 582 رقم 4)

-راشة voyer راسة. 496/v1

راشة ج5/54

أنظر: راسة

- كذن 451/v2

كذّان voyer sous كذّ.

كذن ج9/51

كذّان: أنظرها في مادة كذّ

762/v2 هلا voyer هلىَ-.

809/v2 وشْق voyer وشْك-.

851/v2 أرمغان voyer يَرْمَغَان-.

ج- الشرح بالسياق: هو أن تَرِد الكلمة في جملة أو عبارة من أجل بلوغ المعنى الدقيق لها، وقد اهتم دوزي بإيراد السياقات اللغوية من مصادرها الرئيسية، وهو ما يشكل النسبة الكبيرة في شرح مادته المعجمية، لأنَّه كان يدرك أهمية هذه الوسيلة، وأثره في جلاء معنى الألفاظ، وهو متناثر في صفحات المعجم خاصة الشعر.

500/v1 ربص- I. ربص التراب في العقب «l'eau a déposé au fond du fase la terre qu'elle vontenait,» Be.

ربص 67/ج5

رَبَص. ربص التراب في العقب أي إن الماء جعل التراب الذي فيه يرسب في قعر الإناء (بوشر)

(راجع سونثمير بيطار 1: 582 رقم 4)

703/v1 سوغ- I s'emploie dans le sens général de plaire, être agréable, Mace. I 814, 2 aF.: Tamerlan dit à Ibn-khaldoun: وكيف ساغ لك أن تذكرني في كتابك وتذكر بخت نصر مع أنا خربنا العالم 658, 11, Calaïd 60,5:

إذا قُلتَ لم ينطق فصيح مدرب ولا ساغ في سمع غناء ولا زمرُ

سوغ 189/ج6

ساغ: يستعمل بمعنى طاب وهنؤ، ففي المقر1: 814): قال تيمور لنك لابن خلدون: كيف ساغ لك أن تذكرني في كتابك وتذكر بخت نصر مع أنا خربنا العالم. وفي القلائد:

إذا قلت لم ينطق فصيح مدَّرب ولا ساغ في سمع غناء ولا زمر

ومن الكلمات التي وردت دون أن يقدم لها شروحا، واكتفى بذكر أصولها

48/v1 باذوق sorte de pierre précieuse, Gl. Edrisi–

باذوق ضرب من الحجارة الكريمة. ج1/229

173/v1 جَحْدَب nom d'une plante, Bait. I, 243.–

جَحْدَبْ ج2/144

اسم نبات (ابن البيطار 1: 243)

493/v1 راخْتَجْ ou رخْتَج nom d'une éttof qui se fabriquait à naisâbour, lettre à M. Fleisher 29.–

راختج أو رختج ج5/45

اسم نسيج يصنع في نيسابور (رسالة إلى فليشر ص 29)

620/v1 سابوني epithète pour une espèce de caroubier, Bait. I, 355 a (AB)–

سابوني ج6/10

نوع من أنواع الخرنوب (ابن البيطار 1: 355)

5- الشواهد:

" الشاهد التوضيحي هو أية عبارة أو جملة أو بيت شعرا أو مثل سائر، يقصد منه توضيح استعمال الكلمة التي نعرِّفها أو نترجمها "[1]، يبقى هذا المفهوم ناقصاً، إذ اقتصر على الجمل والعبارات فقط، دون أن يتطرق إلى شاهد آخر، عدَّه الباحثين من أهم الشواهد التوضيحية في المعاجم الحديثة، وهو الشاهد الصوري، فالشاهد التوضيحي إذا هو أي عبارة أو جملة استحضرت من كلام العرب، شعرهم أو نثرهم ومن القرآن الكريم، والحديث الشريف، أو صورة أو رسما، كان القصد منه توضيح المعنى، وقد أجمع جل الباحثين على أنه لا كمال لمعجم إلا إذا رصّعه صاحبه بما تيسر له من شواهد، ويبدو أن هذه القضية صاحبت ظهور المعاجم منذ القديم، لوعي المعجميين بالدور الذي يلعبه الشاهد في إيضاح وإبراز معاني الألفاظ، فما بالنا بالمعاجم الحديثة، يقول الدكتور عفيف عبد الرحمان: " لا يكون المعجم مفيدا إلا إذا تضمن قدرا من الشواهد، وهذا القدر يراعي في تحديده مستخدم المعجم والهدف الذي من أجله وضع، وأكثر المعاجم حاجة إلى الاستشهاد الكثير هي المعاجم المتخصصة والمعجم اللغوي التاريخي، ولا نستطيع معرفة التطور الدلالي إلا من خلال الشواهد. وهذه الشواهد ينبغي أن تكون منوعة شعرا ونثرا ومن عصور مختلفة ولأدباء ولشعراء مشهورين ومغمورين. وثمة أمر يتصل بالشواهد هو وضعها في المعجم والرأي عندي أن تكتب بشكل واضح بارز كأن تكون بين قوسين أو في بداية سطر أو بلون مخالف أو بنبط مختلف ليسهل على مستخدم المعجم الإفادة منها "[2]، وما جاء في هذا القول هو ما ميز معجم دوزي، فالشواهد كانت متعددة، من شعر ونثر وقرآن كريم وحديث شريف وبعض الرسوم، هذه الشواهد التي تظهر في المعجم بخط أسود واضح، ومن

1 علم اللغة وصناعة المعجم، د. علي القاسمي، مطابع جامعة الملك سعود، (1411هـ/1991م)، م.ع السعودية ص: 137.

2 في المعجمية المعاصرة، وقائع ندوة مائوية، أحمد فارس الشدياق وبطرس البستاني ورينهارتدوزي ص: 398.

بين الشواهد التي كان يعجُّ بها المعجم، شواهد الشعر والأقوال العربية، إذا ما قارنَّاها بشواهد القرآن وشواهد الحديث.

- الشواهد الشعرية: كثرت الشواهد الشعرية بمعجم "التكملة"، آخذة بذلك حصة الأسد، ومن ذلك:

– إنَّ الشباب الرابح من باعه والشيب ليس لبائعه تجار (تحت تجار)[1]

– لتبليغها المضطر تدعى ببلغة وإن قيست بالتشبيه شبهتها نعلا (تحت بلغة)[2]

– بنو قحطان للأذواء تنمي وينمى العبد منهم للعبيد (تحت نمو ونمى)[3]

- الأقوال العربية: وهي لا تقل نسبة عن الشواهد الشعرية، فقد حفل بها المعجم ونالت الحظ الوافر من الشواهد، ومنها:

– (ثبر)، ثبَّر، يقال ثبر على: ردَّ عن الحق[4].

– ثبر .II على preverterveritatem, synonyme de ردّ عن الحق[5]

– ضبَّ، ضبَّث، يقولون اليوم: ضبَّ عليه الخلاء، أي أحاطت به العزلة والوحدة[6].

– ضبَّ I.on dit aujourd'hui «وضبَّ عليه الخلاء le so .litude l'entoura,»[7]

1 Dozy (Reinhart), Supplément aux Dictionnaires Arabes, P :141/V01.

2 المصدر نفسه، ص: 113.

3 Dozy (Reinhart), Supplément aux Dictionnaires Arabes, P :727/V02.

4 تكملة المعاجم العربية، ترجمة د. محمد سليم النعيمي، ج2، ص: 93.

5 Dozy (Reinhart), Supplément aux Dictionnaires Arabes, P :158/V01.

6 تكملة المعاجم العربية، ترجمة د. محمد سليم النعيمي، ج6، ص: 497.

7 Dozy (Reinhart), Supplément aux Dictionnaires Arabes, P :01/V02.

- الأمثال العربية: تناثر المثل العربي بين صفحات المعجم، لكن بنسبة قليلة جدًا، ومن بين هذه الأمثال:

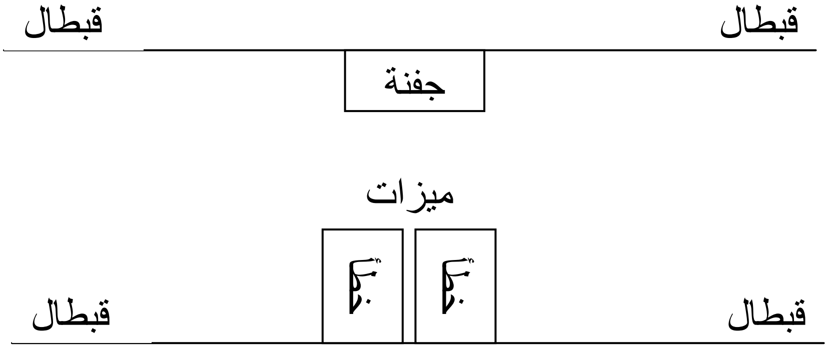
تغذى به قبل أن يتعشى به (مادة عشو)[1]

- الشاهد الصوري: "هو مجموعة من الأشكال الهندسية، وأعمدة الأرقام والمعادلات الكيميائية، والخطوط، والرسوم البيانية "[2] التي يستغلها المعجمي قصد الزيادة في وضوح معاني الكلمات، لكن وعلى الرغم من أن (تكملة المعاجم العربية) يُعد من أحدث المعاجم التي أُلفت في العصر الحديث، في وقت كانت الطباعة فيه منتشرة في أنحاء الأقطار الأوروبية حيث توفرت وسائل الطباعة، إلا أن المطلع عليه لا يكاد يجد للصور والرسوم أثراً، إذا استثنينا بعضا منها، والتي لا تعكس حجم مادة هذا المعجم، فقد كان بإمكان صاحبه أن يضمنه بعض الصور، والرسوم التي تُعينه على الشرح، خاصة وقد كانت فكرة الشاهد الصوري منتشرة في معاجم قبله، فهو إذًا لم يحذو حذو سابقيه في هذه القضية، والتي أصبحت تُعدُ مأخذا لمن لا يُجسدها في عمله المعجمي، لأنَّها أضحت من أهم أساسيات الصناعة المعجمية الحديثة.

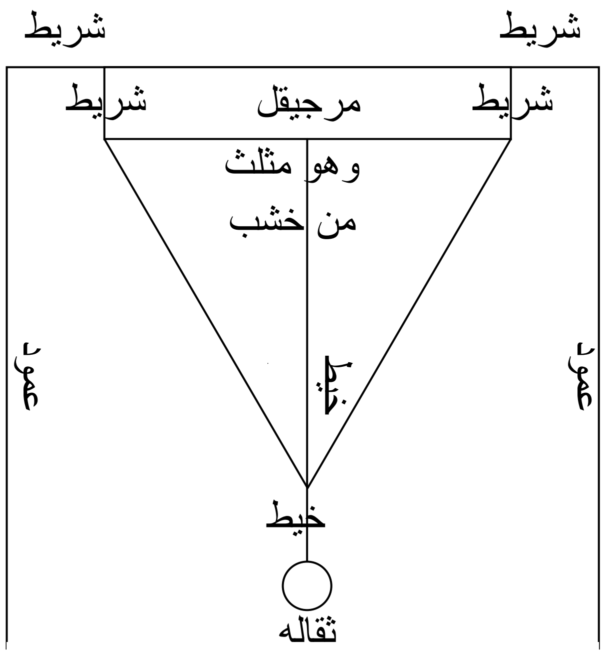
1 Dozy (Reinhart), Supplément aux Dictionnaires Arabes, P :132

2 علم اللغة وصناعة المعجم، د. علي القاسمي، ص: 148.

ومن بين الرسوم التي وردت في المعجم:



رسم توضيحي لمعنى قبطل، قبطال[1].



رسم توضيحي لمعنى مرجيقل[2].

1 Dozy (Reinhart), Supplément aux Dictionnaires Arabes, P :302/V02.

2 المصدر نفسه، ص: 579.

6- الضبط:

تنوعت السبل التي سلكها دوزي في ضبط معجمه، ومنها:

* الإشارة إلى أصول الكلمات: نعلم أن المادة المعجمية التي ضمنها دوزي لمعجمه هي مزيج من كلمات ذات أصول مختلفة تبعا لتنوع مصادرها، لذا فإن دوزي كان في العديد من المرات يُشير إلى أصول كلماته قبل الشروع في إعطاء معانيها حتى وإن عَدَّه البعض مأخذا.

بربرية	1/V01	-آرغيس (BERB).
معربة من الإيطالية	23/V01	- اسفيل (De LitalienStafil).
عامية جُتمُل	248/V01	- حُتمل Voulg Pour.جُتمُل
إسبانية	18/V02	- طاشة (ESP).
لاتينية	29/V02	- طخش (Du Latin Taxus).

* الضبط بالحركات: وهو وضع الحركات على الحروف حتى نميز بين الكلمات فيما بينها، وبين الأسماء والأفعال.

أَرْزُلة	18/ج1.
بُخْنُقْ	55/ج1.
حُتْمُلْ	248/ج1.
دُنْتُولْ	489/ج1.
طَرَخْشَقُون	33/ج2.
مِيَلْغَة	630/ج2.
مَنْحَجَة	642/ج2.

* الضبط بالصيغ اللغوية: وذلك نحو:

- أيشير (BERB) enfant, jeune, garçon, fém–ö jeune fille.56/V01 –

طفل، غلام، والأنثى ايشيرة.

- بُبْرِين (dimin – esp – de borbra). 50/V02 –

مصغر الكلمة الاسبانية بوبرا.

- ردى I. len.d’act. 523/V01 ردى مصدره ترداء. –

- رسَّ pl.رساس 525/V01 تُجمع على رساس. –

IV - موازنة بين معجم دوزي ومعجم فيشر:

يهدف هذا الجانب من الدراسة إلى وضع مقارنة أو موازنة بين معجم دوزي "تكملة المعاجم العربية"، ومعجم آخر عدَّهُ القائمين على اللغة العربية وشؤونها من أهم الأعمال التي غيَّرت مسيرة المعجمية العربية، وهو ذلك العمل الضخم الذي قام به المستشرق الألماني أوغست فيشر في معجمه "المعجم اللغوي التاريخي" حتى نقف على أوجه التوافق والاختلاف بين العملين، وقد كان اختيارنا للمعجم اللغوي التاريخي تحديدا، لأن صاحبه لم يختلف في نظرته للمعجم العربي عن نظرة دوزي، ودعا بذلك إلى صناعة معجم لغوي تاريخي يهدف إلى تتبع دلالة الكلمة عبر مراحل زمنية مختلفة، وهو نفس الطرح الذي دعا إليه دوزي قبله.

وقد ارتأينا أن تقوم هذه الدراسة على أهم أسس المعجم الحديث، وهي المادة المداخل، الترتيب، الشرح، بِغض النظر على أن معجم دوزي هو معجم (عربي– فرنسي)، ومعجم فيشر فهو معجم (عربي . عربي)، ولكوننا قد تطرقنا إلى هذه الأسس التي قام عليها معجم دوزي، فإننا لا نأتي إلى إعادتها، بل سنكتفي بذكرها مختصرة فقط، وإن رأينا ضرورة لذلك، لذا فإننا سنحاول أن نركز أكثر على عمل فيشر.

المادة:

لم تكن نظرة المستشرقين واحدة كما ذكرنا، فقد اختلفت من مستشرق لآخر هذا الاختلاف الذي كان له دور في اختلاف معاجمهم من حيث المادة المعجمية وما تشتمل عليه من ألفاظ اختلفت باختلاف مستويات الكلام سواء أكان فصيحا أو غير فصيح، أما عن هذه المادة فلا نستطيع معرفتها إلا بعد الاطلاع على المصادر التي أُخذت منها، فالمصادر تساعد على معرفة (ألفاظ)، أي كتاب أُخذت منه.

المصادر:

يُعد (المعجم اللغوي التاريخي) للمستشرق فيشر من أهم معاجم المستشرقين التي ساهمت في إثراء اللغة العربية، وقد كانت بداية فكرة مشروعه منذ أوائل القرن العشرين عندما عرضها في ثلاث مؤتمرات استشراقية في باسل (1907م)، وأثينا عام(1912م)، وقد لَقت هذه الفكرة قبولا من الحاضرين بداية من ألمانيا إلا أن مشروعه هذا لم يتم عرضه على الهيئات العربية إلا بعد أن أصبح (فيشر) عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وهناك تم طرح هذه الفكرة على أعضاء المجمع وبعد مناقشات وافق المجمع والحكومة المصرية على تبني هذا العمل، وتحمل تكاليفه، وقبل التطرق إلى مصادر (فيشر) لا بأس أن نُذكر بنظريته للمعجم العربي، فهولا يكاد يختلف عن نظرة دوزي، فقد أشار إلى رأيه للمعجم الذي تحتاج إليه اللغة العربية، إذ يرى أن المعجم الملائم لها هو ذلك الذي لا يقتصر على الألفاظ الفصيحة التي تناولتها المعاجم القديمة، لأنه الأنسب للتطور العلمي الحاضر فدعا إلى وجوب صناعة معجم يشتمل على كل كلمة عربية بدون استثناء، هذا ما يعطي رؤية واضحة حول المنهج الذي اتبعه في عمله، وهو المنهج التاريخي الذي تحدث عنه في العديد من المواضع في مقدمته، مُحددا بذلك الفترة الزمنية لمعجمه بقوله: "فالمعجم يتناول بقدر الإمكان بحث تاريخ كل الكلمات التي جاءت في الآداب العربية مبتدئا بالكتابة

المنقوشة المعروفة بكتابة النمارة من القرن الرابع الميلادي ومنتهيا بالعهد السابق ذكره [نهاية القرن الثالث الهجري أي حتى منتهى ما وصلت إليه اللغة العربية الفصحى من كمال] "[1].

المداخل:

لم يَسِر فيشر في وضع مداخل معجمه على الطريقة التي سار عليها دوزي، إذ نجده قد فرَّق بين الكلمات العربية والعجمية منذ بداية عمله، فجعل المدخل الرئيسي في الكلمات العربية المادة الأصلية مجردة من الزوائد التي لم يتصرف بها العرب بالاشتقاق، فجعل لكلٍ منها مدخلا خاصا بها، حيث أوردها في موضعها على صورتها التي جاءت بها، وهذا ما يؤكده في مقدمته بقوله: "و الكلمات العجمية المعربة الزائدة على ثلاثة أحرف تتبع الكلمات العربية في ترتيب المعجم إن تصرف فيها العرب بالاشتقاق، مثل: إبريق، دكان، برق، إسوار، سراويل، أما ما لم يتصرف فيه العرب بالاشتقاق فتعتبر حروفه كلها أصلية، مثل، إبرسيم، إستبرق بنفسج، سفرجل"[2]. ومن أمثلة ذلك: أورد (آح) بعد (آذين) فارسية.

(آزماذمرد، آزمادمرد) فارسية.

(آسمانجونيّ،آسمانجونيّم) فارسية.

الترتيب:

سار فيشر في ترتيب مادة المعجم على النهج الذي سار عليه دوزي، مُتبعا الترتيب الألفبائي، مُراعيا في ذلك الحرف الأول، والثاني، والثالث، ومن أمثلة ذلك: المداخل العربية: جاءت على النحو التالي: أول حرف بدأ به كتابه هو حرف الألف ثم ألف الاستفهام، ثم حرف القسم، ثم ألف النداء، (إ)، (ا)، (اح)،(آهندال) وهكذا سار على نهج المدرسة الألفبائية.

---

1 المعجم العربي نشأته وتطوره، د. حسين نصار، مكتبة مصر، ج2، ط2، (1968م)، ص734.

2 المعجم اللغوي التاريخي لدى المستشرق فيشر، دراسة تقويمية، عبد العزيز الحميد، (بحث).

ترتيب المشتقات: ذكر عبدالعزيز الحميد في بحثة (المعجم اللغوي التاريخي لدى المستشرق فيشر، دراسة تقويمية) أنَّ فيشر رتب مشتقات معجمه مُبتدءا بالفعل المجرد ثم المزيد بحرف ثم المزيد بحرفين ثم المزيد بثلاثة حروف، في الأفعال، وفي الأسماء على النحو التالي:

أبنية الأفعال: فعَل، فعِل، فعُل، فعّل، فاعل، فاعل، أفعَل، تفعّل، تفاعل، انفعَل افتعَل، افعلَّ، استفعَل، افعالَّ، افعوعل، افعوّل، افعنلَلَ، افعنلىَ.

أبنية الأسماء بعد الأفعال: المجرد ثم المزيد، المزيد بحرف، ثم المزيد بحرفين، ثم المزيد بثلاثة حروف.

أبنية الأسماء: فعْل، فِعْل، فُعْل، فَعِل، فُعُل، فُعَل، فَعُل، فاعِل، فاعَل، فعَال.

أمثلة:

مادة (أبب)

مادة (أبد)

الشرح:

يقول فيشر في قضية الشرح عنده: "يتبع الشرح العربي للكلمات شرحها مختصرا بالإنجليزية وآخر بالفرنسية، وقد جريت على هذا المنوال نزولا على قرار المجمع، وسيرحب الكثيرون بذلك إذ أن إيراد الكلمة الإنجليزية والفرنسية المقابلة غالبا ما يوضح المعنى، ويحدده أكثر مما لو كان الشرح قاصرا على العربية. وسيجد المستشرقون الذين لم يتمكنوا من العربية تمكنا أصيلا في الشرح الإنجليزي والفرنسي عونا لهم ".

يُفهم من هذا القول أن فيشر لم يكتفي بإعطاء معاني الألفاظ باللغة العربية فقط، بل كان يُردفها بمعانٍ من لغات أخرى، انجليزية وفرنسية، وهذا نزولا عند طلب المجمع في ذلك، ورؤيةً منه أن الإنجليزية والفرنسية غالبا ما تعطي مفهوما محددا ودقيقا أكثر منه في العربية، ومن دواعي لجوئه أيضا إلى هذه الفكرة هو تقريب المعنى إلى غير

المتمكنين من اللغة العربية، ومن ذلك المستشرقين، حتى يكون لهم عونا في بلوغ غايتهم.

وكأي معجمي سار فيشر في طريقة شرحه لألفاظ معجمه معتمدا على نقاط أساسية ومنها:

_ ضبط الكلمات إما بالحركات أو بذكر الأمثلة.

_ ذكر الشواهد التي تضفي على المعنى الدقة والوضوح، ويتبعه بذكر مصدره وصاحبه، ورقم الصفحة، سواء كان هذا الشاهد شعرا أم نثرا، وهي نقاط سار عليها أغلب صُنَّاع المعاجم قديما وحديثا.

ومما يميز معجمه عن باقي المعاجم في هذه القضية:

_ التفرقة بين شواهد الشعر والنثر بوضع علامات خاصة على كل واحدٍ منهما.

_ ترتيب الشواهد ترتيبا تاريخيا بحسب تواريخ مصادرها لمعرفة حياة الكلمات وتاريخها.

_ التعريف بالحيوان والنبات بدقة.

_ وضع علامة خاصة بالمعرب والدخيل مع ذكر أصله بدقة.

الشواهد:

تعددت الشواهد التي استعان بها فيشر ليدعم بها معاني ألفاظ معجمه، فكان يُكثر من إيرادها ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وقد تنوعت هذه الشواهد من الشعر والنثر ويقول في هذا: "و قد أوردت من الشعر مع أسماء الشعراء الذي نسبت إليهم عادة في دواوينهم أو في غيرها من كتب الأدب العربي"[1]، كما لم يقتصر على الشعر والنثر فقط، بل قد أخذ أيضا من القرآن الكريم، والحديث الشريف، والأقوال العربية، والأمثال.

1 نقلا عن المعجم العربي، نشأته وتطوره، حسين نصار، ص: 735.

بعد هذه النظرة الخاطفة لعمل فيشر نستطيع أن نقف عند أهم نقاط التوافق والاختلاف بين كِلا العملين.

1- **المداخل:**

- مداخل معجم دوزي: لم يوفق دوزي في وضع بعض المداخل في مكانها الصحيح خاصة الأعجمية، لأنه قام بتجريدها من الزوائد، ما أوقعه في الاضطراب، فتداخلت الأعجمية بالعربية، ولو أنَّه وضعها كما وردت لكان خيرًا له.
- مداخل فيشر: فرَّق فيشر بين الكلمات العربية والأعجمية، فجعل للكلمات العربية مداخلاً كما جرت عليه العادة عند المعجميين العرب، كما وضع للكلمات الأعجمية مداخلاً خاصة بها أيضا، فأوردها على صورتها التي جاءت بها، ويكون بذلك قد تفادى الخطأ الذي وقع فيه دوزي.

2- **الترتيب:**

- الترتيب عند دوزي: سار دوزي في ترتيب كلمات معجمه على طريقة الأولين متبعا الترتيب الألفبائي الذي كان صالحا معه مع الكلمات العربية، ولم يكن كذلك مع الكلمات الأعجمية، ما ترتب عنه أخطاء قد ذكرناها سالفا حُسبت عليه.
- الترتيب عند فيشر: رتَّب فيشر مادة معجمه على طريقة الترتيب الهجائي بالنسبة للكلمات العربية، أما الكلمات الأعجمية فرتبها بحسب الصورة التي جاءت عليها.

3- **الشرح:**

- الشرح عند دوزي: لم يحِد دوزي في شرح مادة معجمه عن المعجميين الذين سبقوه متبعا بذلك وسائل شرح عديدة منها الشرح بالمرادف، الشرح بكلمة أخرى،

الشرح بالإحالة الشرح بالسياق، مُستعينا بما تيسر له من شواهد إلا أن من بين ابرز عيوب شرح بعض مادته هو عدم إعطاءه لها مفاهيم دقيقة، خاصة عندما يتعلق الأمر بالحيوان أو النبات، كمما انَّه في العديد من الأحيان لم يُشر إلى أصل الكلمة وهو ما حُسب عليه أيضا.

- الشرح عند فيشر: سار فيشر في شرح مادته على نحو المعجميين الذين سبقوه بما في ذلك دوزي إلا أن ما ميزه عن دوزي هو أنه كان غالبا ما يُردف شرح الكلمة بمعنى مختصرا بالإنجليزية وبالفرنسية، ضِف إلى ذلك التعريف بالمعرب والدخيل بدقة، مع وضع علامة خاصة بكل منهما.

في ختام هذا الفصل من الدراسة التطبيقية، وعبر تتبع مراحل العمل التي انتهجها دوزي في عمله، اتضح أنه لم يخرج في صناعة معجمه عمَّ سار عليه الأولون من المعجميين العرب والغرب، وكما أن لا عمل يخلو من النقص فإنَّ معجم دوزي كغيره كان يَعج بالأخطاء، منها ما كان متعمدا، ومنها ما كان لقصوره في فهمه لأسس اللغة العربية، لكن ورغم كل هذه الأخطاء يبقى هذا العمل رائدا في صناعة معجمية حديثة، وجب علينا احترامه وتقديره، يقول عبد اللطيف عبيد في ختام الندوة المائوية "عمل دوزي أحقٌّ بالتنويه، ومهما قيل عن مآخذه فإنها تبقى قليلة بالقياس إلى جوانب الجدة والطرافة فيه. وإلى هذا الرأي أيضا ذهب الأستاذ ابن مراد، فقد رأى أنَّ من الظلم والإجحاف وضع المعجميّين الثلاثة في طبقة واحدة، ذلك أن الشدياق والبستاني لم يخرجا عن القدماء خروجا كبيرا، ولم يجدِّدا في أعمالهما تجديدا ظاهرا بينما قضى دوزي أكثر من أربعين سنة يستقرئ النصوص المخطوطة والمطبوعة بحثا عما أهملته المعاجم القديمة فأتى بمستوى الجمع بالجديد والطريف الحقيقيَّين، وقد فاق غيره – من القدماء والمحدثين– في توسع الرصيد المعجمي، وإقرار أن الفصاحة لا تنتمي إلى عصر بعينه، ولا تنحصر في مِصْر بعينه، يُضاف إلى ذلك أن الشدياق والبستاني عربيان قد حثَّتهما على التأليف في المعجم العربي والاستدراك عليه دوافع عاطفية وطنية، وقد كانت أعمالهما من باب تأدية الواجب، أما دوزي فمستشرق هولندي لم تكن صلته بالعربية صلة نسب وانتماء وطنيين قوميين، بل صلة اختصاص علمي ورغم ذلك فإنَّه لم يكن أقل حماسا للعربية من العرب أنفسهم، بل إنَّه فاق ويفوق في ذلك الكثير منهم"[1].

أما عن الموازنة فيبدو لنا أن فيشر قد تفادى تلك الأخطاء التي وقع فيها دوزي أثناء قيامه بعمله، لذا لم ترِد في "المعجم اللغوي التاريخي".

---

1 في المعجمية المعاصرة،، وقائع ندوة مائوية، د. عفيف عبد الرحمان، ص: 652.

خاتمة

الخاتمة

من خلال دراستنا لموضوع الاستشراق، ودوره في الصناعة المعجمية، خلصنا إلى عدة نتائج توزعت على قسمين من هذا البحث، فالقسم الأول هو الدراسة التي قمنا بها حول الاستشراق عامة، متمثلاً في حركة الاستشراق ودوره في إحياء التراث العربـــي، والذي لم يكن مدرجًا قبل بداية البحث، لكن بعد بداية البحث اتضح لنا أنه لا بدَّ علينا أنَّ نبحث فيه، لأنه يستحيل الحديث عن الاستشراق ودوره في الصناعة المعجمية دون الحديث عن التراث عامة، وعن ذلك الدور الذي قام به المستشرقون نحوه، فما العمل المعجمي سوى ركن من أركان هذا التراث، أما الجانب الثاني وهو موضوع هذا البحث (دور المستشرقين في صناعة المعجم العربي).

فيما يخص القسم الأول، والخاص بحركة الاستشراق ودوره في إحياء التراث العربي، فقد كانت النتائج التالية:

1- مازلنا ننظر إلى الاستشراق من زاوية ضيقة، على أنه وسيلة من وسائل الاستعمار، هذه النظرة التي بنيناها انطلاقًا من تلك الدوافع والأهداف التي عمل لأجلها المستشرقون، وقد ذُكرت في هذا العمل، وهي حقيقة لا مفرَّ منها، لكنها نظرة لا تدعُ لنا مجالاً للاحتكاك بعالم الاستشراق، لذا لا بد أن نضع هذا جانبًا دون إغفاله حتى نتمكن من مصاحبة هؤلاء المستشرقين، محاولين بذلك كسبهم في صفِّنَا وتضييق تلك الهوة، التي تزداد اتساعًا مع مرور الزمن، لأن بقاء الحال على ما هو عليه ليس في صالحنا نحن أصحاب الحق المسلوب، وبالتالي نؤسِّس بيننا وبين الجانب الآخر قنوات اتصال قد تعود علينا ببعض الفائدة، كل هذا من أجل استرداد ما ضاع منَّا من ذلك الكنز ،الذي أفنى فيه أجدادنا أعمارهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى علنا نستفيد منه كما استفاد ولايزال يستفيد منه غيرنا، بعد استغلاله كما يجب، ونكون بذلك قد خدمنا تراثنا وحافظنا على أمانة أجدادنا.

2-مازلنا لم نرى دراسات حقيقية حول أعمال المستشرقين، عدا تلك التي تركز على مستشرق بعينه فتصف أعماله انطلاقًا من شخصيته، ونظرته إلى العالم الإسلامي، فتصفه إما بالاعتدال أو التعصب، وهذا لا يخدمنا البتَّة فأين الضرر إذا قمنا بدراسات حقيقية قائمة على الحياد؟ حول أعمالهم دون أن ندرج

شخصيات أصحابها فيها ، ونحن أدرى بما ينفعنا وما يضرنا، فإن رأينا فيها ما يفيدنا أخذناه وإن رأينا فيها ما يضرنا تركناه.

3- لقد قام المستشرقون ببذل جهد كبير لإحياء التراث، هذا الجهد الذي وجب علينا الاعتراف به وتثمينه، ويتمثل هذا الجهد في المنهج الذي اعتمدوه أو الطريقة التي تبنوها، والمبنية على أسس علمية بحتة، فأصبحوا بذلك فرسان هذا العمل في العصر الحديث ،بعد أن كان أسلافنا روادُهُ، وبهذا يكون المستشرقون هم السباقون لخدمة تراثنا من المسلمين المعاصرين أنفسهم، وقد كان ذلك بسبب عدة عوامل منها بعده عن أصحابه وقربه منهم، فقد عجَّت به مكتباتهم ومتاحفهم، وهو ما خدم تراثنا فلو أنه بقي بين أيدينا لكان مصير نسبة منه الضياع والتلف، ضِف إلى ذلك أنه وجد ظروفًا ساهمت في بقاءه حيًا، فقد صانه هؤلاء المستشرقين وحافظوا عليه بتوفير الوسائل الملائمة لذلك، ولم يتوقفوا عند هذا الحد بل قاموا بتحقيقه ونشره وترجمتهإلا أن حدة هذا الاهتمام بدأت تقل بعد أن التف أصحابه حوله، فأصبحوا مزاحمين للمستشرقين وكان مبعث ذلك وعي المسلمين بما ضاع منهم، والدعوات التي بدأت تُبعث من المثقفين والجامعات، والمعاهد التي بدأت تهتم به، ضِف إلى ذلك الدافع القومي والثقافي الذي كان وراء هذا الدعوات إلى جمع التراث و الالتفاف حوله.

أما الجانب الثاني من الدراسة، فكانت لنا فيه عِدة نقاط خلصنا إليها، جاءت كالآتي:

1-لم يكن المستشرقون هم الأسبق إلى الصناعة المعجمية، بل سبقهم في ذلك العرب إلى هذا العمل، ولم يكن ليظهر هؤلاء، ويتخذوا لهم مكانة مرموقة في هذا العلم إلا بعد الغفلة التي أصابت العرب في فترة من الفترات فتقاعسوا على المُضي قدمًا في الطريق الذي رسمه وعبده لهم أسلافهم، فتناسوا ذلك الموروث الذي تركه الأجداد وهذا ما اعترف به العديد منهم أمثال " هيفود ".

2-ما يلاحظ على أعمال المستشرقين من خلال مصادرهم التي اعتمدوها في أعمالهم يُدركُ جيدًا أنهم لم يُعنَوا بأخذ مادتهم المعجمية من المعاجم العربية، وإن وُجدت فهي بنسبة قليلة، وكان اعتمادهم كليًا على الكتب الأدبية ككتاب (ألف ليلة وليلة ،

وكتب الرحلات، وكتب الجغرافيا والتاريخ، وكتب علوم أخرى، ضِف إلى ذلك كتب وحواشي لغربيين ومستشرقين، وكان رجوعهم إلى هذه الكتب لجمع المادة منها ولأخذ العديد من معانيها.

3-لقد صنعت تلك النظريات التي دعا إليها المستشرقون في صناعة المعاجم فارقًا كبيرًا بين أعمالهم وأعمالنا، فيكفي أن نُلقي نظرة متأنية إلى نظرية (دوزي) و(فيشر) في صناعة المعجم الحديث، التي تجعل من المعجمية العربية تخرج من تلك القوقعة التي بقيت فيها لزمن طويل، هذه النظرية التي تدعوا إلى صناعة معجم لغوي تاريخي يُؤرخ للغة عبر فترات زمنية متعاقبة، وهو ما تبناه المجمع العربي أخيرًا، لكن لم يُكتب لهذا المشروع الظهور وفاة صاحبه.

4-بالنسبة للنموذج الذي أُخِذ في هذا العمل، فنحن نكرر أسفنا الشديد، لأن مثل هذا المعجم لم يلقى إلى حد اليوم العناية الكافية، وحقَّه من الدراسة العلمية الحقيقية لذا فإن دراستنا له لم تكن بالقدر الكافي الذي كنا نتوقعه، ما أثر سلبًا على هذا العمل، خاصة الجانب التطبيقي منه، ولا ندري لما هذا الإهمال مع أن صاحب هذا المعجم كان هو الرائد في الدعوة إلى فكرة إنشاء معجم لغوي تاريخي.

5-لم تأخذ الدراسات اللغوية الاستشراقية خاصة المعجمية منها نصيبها الوافر من الدراسة، فالباحث في هذا المجال لا يجد سوى بعض المقالات والبحوث القصيرة المنشورة على صفحات الأنترنت، والتي تفتقد إلى التوثيق غالبًا، كما قد تكون منقولة ومكررة عن بحوث أخرى لا جديد فيها، لذا نتمنى أن تقوم دراسات فعلية قائمة على أسس علمية ترقى إلى مستوى هذه الأعمال الجليلة.

6-بعد تتبع مراحل العمل في معجم (تكملة المعاجم العربية)، بداية من تلك المصادر التي اعتمدها صاحبه في عمله، إلى جمع المادة المعجمية، ثم ترتيبها وشرحها، اتضح أن دوزي كان مقلدًا في طريقة عمله لسابقيه من معجميين عربًا

وغربًا، بداية من الترتيب الألفبائي الذي كان شائعًا قبله، إلى وسائل شرح المادة المعجمية، ثم الشواهد التي تعين على فهم المعنى، هذا إن استثنينا بعض الخلل الذي أصاب عمله أثناء الترتيب، كتقديم المضعف العين واللام، وتقديم وتأخير بعض مشتقات الجذور، إذاً فلا جديد جاء به دوزي في هذا الجانب ويكمن جديده فقط في نظريته في صناعة المعجم الحديث التي دعا إليها متبنيًا إياها في معجمه، وهي العمل على صناعة معجم لغوي تاريخي يحوي جميع ألفاظ اللغة دون استثناء ومن دون النظر إلى مستوياتها (فصيحة، عامية ،دخيلة ، معرَّبة) وبهذا يكون قد خطا بالمعجمية العربية خطوة عملاقة في مسارها، داعيًا بذلك إلى العزوف عن تقليد الأولين في اقتصارهم على تدوين الفصيح فقط انطلاقًا من نظرته إلى اللغة العربية الفصيحة.

لكن المُلاحظ أن هذه الفكرة لازالت تُنسب إلى المستشرق الألماني (أوغست فيشر) صاحب أضخم عمل هو الآخر في كتابه (المعجم اللغوي التاريخي)، والذي لم يكتمل بعد مع أن دوزي كان قد دعا إلى هذه الفكرة قبله فلا ندري لما لم تتم الإشارة إلى هذا عند الحديث عن هذا العمل، ولربما كان عذرهم في ذلك أن معجم (دوزي) هو (عربي – فرنسي)، أما معجم (فيشر) فهو (عربي– عربي)، لكننا نتحدث عن الفكرة فقط.

7- رغم ما وقع فيه دوزي من هفوات وسقطات ، أثناء إخراج معجمه في جوانب منه كالترتيب مثلاً، يبقى عمله هذا جديرًا بالاهتمام والاعتراف بقيمته، ولا يمكن بحال من الأحوال أخذ هذه المآخذ عليه لأسباب عديدة تشفع له بذلك أولها أنه ليس بعربي، عالج لغةً غير لغته، فهو بهذا ليس مُلمًا بها كأصحابها وثانيها لم يكن متخصصًا في اللغة، بل في التاريخ، وأخيرًا أن هذا العمل في حد ذاته عمل يحتاج إلى فريق من الباحثين والعلماء للنهوض به، وهو قام به بمفرده ومع ذلك استطاع أن يُوفق في عمله هذا إلى حدٍ كبير، جعل له مكانة رفيعة

في المعجمية العربية المعاصرة، فيكفي أن صاحب مشروع (المعجم اللغوي التاريخي) لصاحبه الألماني (أوغست فيشر)، والذي أشاد به الكثير من القائمين على المعجمية العربية عاد إليه في عمله.

وفي الأخير نتساءل أحقًا لازلنا وسنبقى بحاجة إلى أعمال المستشرقين، أم أنها كانت ولاتزال تشكل خطرًا على تراثنا وحضارتنا، ما يوجب علينا التخلص منها ؟.

للإجابة على هذا السؤال انقسمت طبقتنا العامة والمثقفة والباحثة إلى فريقين فريق داعٍ وفريق رافض، ونحن نرى أنه لا بد من دراسة هذه الأعمال والاستعانة بها، فليس كل ما يأتي من الجانب الآخر ضار، وليس كل المستشرقين في طبقة واحدة، فقد نجد من يلتزم الحياد ويجعل من البحث العلمي هدفًا له من جهة، ومن جهة أخرى نحن قادرون على التمييز بين النافع والضار، خاصة مع توفر وسائل البحث والتحقيق الحديثة التي لم تكن موجودة من قبل، ضِف إلى ذلك أن هذه الأعمال حجزت لها مكانًا مرموقًا في مكتباتنا، وأسواقنا، وبيوتنا، وحتى في عقولنا، لذا فإنه وبأي حال من الأحوال لا نستطيع الاستغناء عنها، بعد أن أصبحت تشكل جزء لا يتجزأ من حضارتنا، المُهم أنه من واجبنا التمييز بينها فقط.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية:

1- الاستشراق في الأدبيات العربية، علي بن إبراهيم النملة، مركز الملك فيصل والدراسات الإسلامية، ط1(1414هـ/1993م).

2- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د. محمود حمدي زقزوق، دار المعارف، القاهرة، مصر.

3- الاستشراق والدراسات الإسلامية، أ. د. علي بن إبراهيم الحمد النملة، مكتبة التوبة، الرياض، م.ع. س، ط 1(1428هـ/1998م).

4- الاستشراق والمستشرقون، مالهم وما عليهم، مصطفى السباعي، دار الورّاق للنشر والتوزيع.

5- الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية، سالم العيسى، منشورات اتحاد الكتاب العرب.

6- الظاهرة الاستشراقية، ساسي سالم الحاج، دار المدار الإسلامي، ج1، ط1 2003م.

7- الفهرس الوصفي للنسخ الخطية، يوسف بن حسن بن عد الهادي، غراس للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان،ط1 ،الكويت(1413هـ/2012م).

8- القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز أبادي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط(1417هـ/1997م).

9- القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، دراسة نقدية تحليلية، أ.د. محّمد محمد أبو ليلة، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، ط1(1423هـ/2002م).

10- المستشرقون، نجيب العقيقي، ج1، ج2، ج3، دار المعارف، مصر، ط3 1964م.

11- المستشرقون والإسلام، إبراهيم عبد المجيد اللبان، مجمع البحوث الإسلامية القاهرة، 1970م.

12- المستشرقون والتاريخ الإسلامي، د. علي حسن الخربوطلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988م.

13- المستشرقون والتراث، د. عبد العظيم الديب، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر ط3 (1413هـ/1992م).

14- المستشرقون والمناهج اللغوية، د. إسماعيل أحمد عمايرة، دار الحنين، عمان الأردن،ط2،1992م.

15- المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، د. إسماعيل أحمد عمايرة، دار حنين، عمان، الأردن، ط2، (1412هـ/1992م).

16- المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، د. محمد أحمد أبو الفرج دار النهضة العربية للطباعة والنشر1966م.

17- المعجمات العربية، دراسة منهجية، محمد علي عبد الكريم الرديني، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، ط1.

18- المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثّقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، د.رجب عبد الجواد إبراهيم، دار الآفاق العربية، القاهرة ط1، (1423هـ/2002م).

19- المعجم العربي نشأته وتطوره، د. حسين نصار، مكتبة مصر، ج2، ط2 1968م.

20- المنجد في اللغة العربية، دار المشرق، بيروت، ط2، 2002م.

21- المنهل: قاموس فرنسي – عربي، سهيل إدريس، دار الكتاب، ط 2004م.

22- إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي، أ. د. علي بن إبراهيم النملة الرياض، ط1(1417هـ/1996م).

23- بحوث في الاستشراق واللغة، د. إسماعيل أحمد عمايرة، دار البشير، عمان الأردن، ط1 ،(1417هـ/1996م).

24- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة .د. عبد الحليم النجار، دار المعارف، ط5،ج1.

25- تاريخ دراسة اللغة العربية بأوروبا، يوسف جيرا، مطبعة الشباب، القاهرة.

26- تجديد ذكرى أبي العلاء المعري، د.طه حسين، دار المعارف، ط6،1963م.

27- تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمية وكيفية ضبط الكتب سبق المسلمين الإفرنج في ذلك، أحمد شاكر، مكتبة السنة، القاهرة، ط2.

28- تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي، ترجمة محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للنشر، العراق، 1980م.

29- دراسات في المعجم العربي، إبراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1.

30- شخصيات من الشرق والغرب، نجم الدين غالب الكبيب، دار الكتاب اللبناني بيروت، 1969م.

31- علم اللغة وصناعة المعجم، د. علي القاسمي، مطابع جامعة الملك سعود 1411هـ.

32- غربيون في بلادنا، محمود السمرة، المكتبة التجارية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، 1969م.

33- فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، د. أحمد سمايلوفيتش، دار الفكر العربي، القاهرة، (1418هـ/1998م

34- في الصناعة العجمية العربية المعاصرة، وقائع ندوة مائوية، أحمد فارس الشدياق وبطرس البستاني ورينخارت دوزي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1 (1407هـ/1987م).

35- قطوف أدبية ودراسات نقدية في التراث العربي، مكتبة السنة، القاهرة، ط1 (1409هـ/1988م).

36- مصادر المعلومات عند الاستشراق و المستشرقين، علي بن إبراهيم النملة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، (1414هـ/1993م).

37- معجم أسماء المستشرقين، يحيى مراد، دار الكتاب.

38- موسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

39- نقد الخطاب الاستشراقي، ساسي سالم الحاج، دار المدار الإسلامي، يناير 2002، ط1، ج1.

المصادر والمراجع الأجنبية:

1-"Auzou" Dictionnaire Encyclopedique. 2005.

2-Dozy (Reinhart), Supplément aux Dictionaries Arabes, librairie Orientale et Américaine, Maisonneuve frères, 3 rue du sabot, Paris, 2ème édition,1927, v01/v02.(pdf).

3-Le Petite la Rousse (Grand format). La Rousse 2005.

المجلات:

1- الدراسات القرآنية عند المستشرقين خلال الربع الأول من القرن الخامس عشر للهجرة، د.عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس، مجلة النحو والدراسات القرآنية العدد السادس، السنة الثالثة.

2- المعجم المفصل لأسماء الملابس عند العرب، تعريب الدكتور أكرم فاضل، مجلة اللسان المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي، جامعة الدول العربية، الرباط المغرب الأقصى، العدد الخامس.

3- نبذة عن مسيرة الاستشراق، إبراهيم مناد، جامعة مستغانم، الجزائر، مجلة حوليات التراث، العدد03، 2005م.

4- نحن والمستشرقون مع دراسة تحليلية لأثر المستشرق دوزي في المعجمية العربية علي توفيق الحمد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن مجلة جامعة النجاح للأبحاث، المجلد 15، 2001.

البحوث و المذكرات:

1- الاستشراق وقضية الإنصاف في أبحاثهم، د.إبراهيم احمد الكندي، جريدة عمان الأردن. http://main.omandaily.com

2- البحث اللغوي في دراسات المستشرقين الألمان، العربية أنموذجا، عبد الحسن عباس حسن الجمل الزويني، إشراف، أ.د/ محمد عبد الزهرة غافل الشريفي، جامعة الكوفة، كلية الآداب، (1431هـ/2010م).

3- الترجمة الأدبية من العربية عند المستشرقين "المدرسة الفرنسية "أنموذجا"، أندلوسي محمد، إشراف/ د. بن أعمر محمد، جامعة أبوبكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، (2009م- 2010م).

4- الفروق اللغوية في المعاجم العربية كتاب "الفروق في اللغة " لأبي هلال العسكري – أنموذجا –، سوهيلة درويش، جامعة مولود فرعون، تيزي وزو، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر،2011م.

5- الفهم الاستشراقي لتفسير القرآن الكريم، عادل ماجد محمد، إشراف/ د. ستار جبر الأعرجي، جامعة الكوفة، كلية الفقه، (1428هـ/2007م).

6- المعجم التاريخي لدى المستشرق الألماني أوجست فيشر، دراسة تقويمية، عبد العزيز بن الحميد بن محمد الحميد.

7- أهداف الاستشراق، د. مازن مطبقاني، موقع مركز المدينة المنورة للأبحاث والدراسات الاستشراقية. www.madinacenter.com

8- جهود المستشرقين في الفهرسة اللغوية للقرآن والحديث، د.عبد العزيز بن حميد الحميد، الندوة الدولية للبحوث في لغة وفلسفة وتدريس الحديث النبوي، كيرالا، الهند (1433هـ/2012م).

9- دور المستشرقين الفرنسيين في نقل الثقافة العربية إلى الغرب، د. عبد الرؤوف خربوش. http:// scholar.najah.edu/…/role-franch-orientalists-transmitte

10- مدارس الاستشراق، المدرسة الهولندية. www.alukah.net

11- مناهج المستشرقين في الصناعة المعجمية، عبد العزيز الحميد.

12- من واقع تجارب طلاب الدراسات العربية والإسلامية في الغرب "بريطانيا نموذجا"، أ. د/ سمير الدروبي، أ. د/ جهاد المجالي، جامعة سونجكلا، فرع فطاني، جنوب تايلاند. www.deepsouthwatch.org/isites

المواقع الالكترونية:

1- www.alukah.net
2- www.deepsouthwatch.org/isites
3- www.madinacenter.com
4- http://main.omandaily.com
5- http://scholar.najah.edu/…/role-franch-orientalists-transmitte

الفهرس العام

فهرس المواضيع

الكلمات المفتاحية

- ✓ الاستشراق
- ✓ دور الاستشراق
- ✓ دور الاستشراق في صناعة المعجم
- ✓ دور الاستشراق في صناعة المعجم العربي
- ✓ صناعة المعجم العربي
- ✓ المعجم العربي
- ✓ دور الاستشراق في صناعة المعجم العربي معجم دوزي – أنموذجا -
- ✓ معجم دوزي أنموذجا
- ✓ معجم دوزي

ملخص

يتناول هذا البحث دراسة حول أحد أهم قضايا التراث العربي الإسلامي، وهي الصناعة المعجمية التي تعد جانب من جوانب تراثنا، إلا أن ما يميز هذا العمل هو أن الحديث فيه لم يكن عن الصناعية المعجمية عند العرب، بل إن البحث كان منصبا عن تلك الأعمال والمجهودات التي قام بها المستشرقون في هذا المجال، وحتى يأخذ هذا العمل طابعا خاصا رصَّعه صاحبه بنموذج من تلك الأعمال التي قام بها هؤلاء المستشرقين فوقع الاختيار على معجم "تكملة المعاجم العربية " لصاحبه المستشرق الهولندي رينهارت دوزي، فجاء معنونا بـ" دور الاستشراق في صناعة المعجم العربي - معجم دوزي أنموذجا-". لكن قبل الخوض في الحديث عن هذا الموضوع كان لزاما على صاحب العمل أن يتحدث في عجالة عن جوانب من الاستشراق، ويظهر ذلك في المدخل، وليس هذا فحسب، بل إنَّ الصناعة المعجمية عند المستشرقين لم تكن الوحيدة التي اهتموا بها فقد كان اهتمامهم أيضا بجوانب أخرى من تراثنا كان لهم الدور الكبير في احياءها والمحافظة عليها، وهي: المخطوط (جمعه ونسخه ثم تحقيقه ونشره)، الترتيب والفهرسة، التأليف، اللغة، الترجمة، النقد، وأخيرا المناهج المعتمدة في أعمالهم، هذا ما حتَّم على صاحب العمل الحديث عنها مُخصصا لها فصلا كاملا، وفي نهاية هذا البحث قام الباحث بدراسة نظرية وتطبيقية لمعجم دوزي.

الكلمات المفتاحية :

الإستشراق؛ المعجم العربي؛ معجم دوزي؛ معجم فيشر؛ المشتقات؛ المداخل؛ المادة المعجمية؛ الصناعة المعجمية؛ الأدب العربي؛ النقد؛ اللغة؛ الترجمة.

نوقشت يوم 27 نوفمبر 2014